

لناظمها
الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد ابن حماد البوصيري
(607-696هـ)

تحقيق وتعليق
فضيلة العلامة محمد الشاذلي النيفر

إصدار
واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم – فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

العَلم البوصيري

يعد البوصيري من أعلام الإسلام فقد اجتهد في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقتصر على المدح إذ تولى رد شبهات اليهود والنصارى، ودحض دعاويهم الكاذبة بإنكار النص على بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل وجابههم بالحقائق الناصعة الدالة على البعثة النبوية ختام الرسالات.

ولا ينكر أحد أن محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب غرس الإيمان في النفوس كما أشار إليه الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبهُ إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار ﴾(رواه أحمد والبخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه)، يعد هذا الحديث من الأحاديث التي هي من دعائم الإيمان فقد بين أن المرء لا يتلذذ بالطاعة ويبذل جهده في رضا الله ورسوله إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأمرين الآخرين.

وأشار إلى مدخلية محبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإيمان الإمامان الجليلان البخاري ومسلم حيث ذكر كل منهما هذا الحديث في كتاب الإيمان.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ﴾(رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه)، قال القاضي عياض: "من محبته نصرة سنته، والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته على كل والد وولد،

ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن".

ولتحقيق هذا المعنى في النفوس وإيثار محبته صلى الله عليه وآله وسلم على كل محبة حَبَّر الإمام البوصيري قصائده الرائعة، وقد منحه الله قوة بيان، وقدرة شعرية فائقة فاستطاع أن ينسج برودا شعرية فاق فيها الكثير ممن نظم في مدح صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

وقد نوه بالإمام البوصيري الكثير وعدوه إمام المديح النبوي وخصوا همزيته بالثناء، فقد وصفها شارحها العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي: (ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الألفاظ الجزلة المباني العجيبة الأوضاع البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة التحرير إذ لم ينسج أحد على منوالها، ولا وصل إلى حسنها وكمالها حتى الإمام البرهان القيراطي (781) فإنه مع جلالته وتضلعه ... أراد أن يحاكيها ففاته الشنب، وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب، وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها، وبراعة صنعها...)

انفردت الهمزية عن بقية المدائح النبوية الأخرى انفراداً ممتازاً فهي تبرز من السيرة النبوية وجها يتضمن من أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدعو إلى معرفته بحسب طاقتنا لا بحسب ما منحه الله من كمالات وجميل صفات ما عجز عن إدراكه البشر، في قالب بديع من حيث الإبراز في اللفظ البليغ، والمعنى الفائق، مما يجول بالنفس في جو يدعو إلى محبته صلى الله عليه وآله وسلم التي هي من كمال الإيمان، بل أساس الإيمان كما صرح به الحديثان المتقدمان حبانا الله حبه والعمل الصادق في خدمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

من حياة البوصيري

أبو عبد الله محمد بن سعيد الصِّنهاجي البوصيري المصري شرف الدين ولد سنة 608 هجري.

يعد الإمام البوصيري حسنة من حسنات أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي 686 هجري الواصل إلى الله والموصل إليه.

وممن وصل على يديه الإمام البوصيري فإنه بعد أن اشتغل بالوظيف سلك طريق القوم بإمامة شيخه أبي العباس، والشيخ أبو العباس أخذ عن الولي الشهير أبي الحسن الشاذلي الحسني وهو عن الشيخ الولي الصالح عبد السلام بن مشيش وكان الشيخ ابن عطاء الله رفيقا له في السلوك على يد أبي العباس المرسي وكان سلوكه الصوفي من طريق المحبة النبوية فتمثلت في ذاته تلك المحبة النبوية وأراد تحقيقها في النفوس فنظم قصائد عدة في المدح النبوي وكل قصيدة من هذه القصائد ذات طابع خاص.

ومن أشهر هذه القصائد قصيدة البردة ذات البركة العميمة وقد اعتنى الناس بها شرقا وغربا وقصيدته الهمزية القصيدة العصماء وهي ذات امتياز كما قدمنا وقد اعتنى بها المعتنون شرحا ومحاكاة.

فمن شروحها شرح الإمام أحمد بن محمد الهيتمي الشهير بابن حجر 974 هجري وهو شرح جليل طرق فيه بحوثا محررة فائقة، وحلل القصيدة تحليلا شافيا، كشف فيه عن معانيها العجيبة مع فوائد جمة.

وقد اعتني بهذا الشرح فكتب عليه الشيخ محمد الحفني حاشية، واختصره الشيخ سليمان الجمل، واشتهر هذا الشرح أيما اشتهار، وأقبل عليه المطالعون كما كتب على الهمزية من أهل المغرب الشيخ محمد بن أحمد بنيس شرحا حافلاً.

وقد انتفعت بهذه التحريرات في تعليقي هذا على الهمزية.

وما ذكرته من أشهر شروحها الكثيرة العديدة، ولكل شارح مميزاته العديدة.

وللبوصيري قصيدة أخرى، وهي التي فند فيها أكاذيب اليهود والنصارى، وسماها (المخرج والمردود على النصارى واليهود) ناقشهم فيها مناقشة عارف بكتبهم، ورد عليهم رد دارس للتوراة والإنجيل، مطلعها:

جــاء المســيح مــن الإلــه رســولا   فــأبى أقــل العــالمين قبــولا

وعلق عليها ناظمها تعليقاً أشار فيه إلى ما استخرجه من التوراة والإنجيل، فهو قد ذب عن الجانب النبوي الشريف ذب محب صادق عالم بالأديان، وعارف بتحريف اليهود والنصارى، وله غير ذلك من القصائد الرائعة التي حواها ديوانه الحافل البديع.

وفاته:

ذكر المقريزي أنه توفي سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة، لكن الحافظ ابن حجر صوب أنه توفي سنة أربع وتسعين وستمائة، رحمه الله رحمة واسعة وجازاه خير الجزاء على مدحه النبوي البليغ الفائق الرائق[1].

(1) انظر فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ج3ص362) والوافي بالوفيات للصفدي (ج3ص105).

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للعلامة الجليل والمحدث النحرير
سيدي محمد الشاذلي النيفر

اسمه وكنيته:

هو شيخنا العلامة البارع الأصولي المتفنن المحدث النحرير والشاعر اللغوي الكبير الأستاذ الشهير أحد أساطين العلم في تونس المعمورة ووحيد عصره وسيد مصره الشيخ المعمر والسيد الغضنفر، قيدوم المذهب المالكي الأشعري الجلد، أبو المكارم أو أبو الطاهر محمد الشاذلي ابن العلامة النفاعة قاضي الجماعة بتونس المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر وينتهي نسبه من ناحية الأب إلى العارف بالله الإمام أحمد الرفاعي وأمه من عائلة الولي الصالح المشهور في البلاد التونسية سيدي علي عزوز.

مولده:

وُلد حفظه الله ورعاه في سنة 1325 هجري الموافق له 1908 رومي كما أقره هو بنفسه وذلك خلافاً لما هو معروف عند أكثر الناس. وكانت ولادته في مدينة تونس المحمية حماها الله وحرسها من كل بليّة.

نشأته:

نشأ شيخنا في بيت عريق في العلم والصلاح وتلقى تربية قرآنية منذ فجر حياته برعاية مؤدبين فضلاء فتعلم منهم مبادئ القراءة والكتابة واللغة العربية ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية التي أنشأها المصلح المرحوم الشاذلي المورالي لتعليم الناشئة المسلمة مبادئ العلوم الشرعية والعربية، ثم انتقل شيخنا إلى جامع الزيتونة المعمور محط أنظار طلبة العلم في تونس وشمال إفريقيا وذلك في سن مبكرة جداً، إذ تحول من المدرسة القرآنية إلى الزيتونة وعمره ثلاث عشرة سنة، وفيها كرع وتلقى العلوم على خيرة علمائها وكان من أول الذين انتفع بهم والده العلامة قاضي الجماعة المحدث محمد الصادق النيفر حيث كان أول من

أجازه في الحديث، وعنه تعلم الكتابة العلمية، وحضر دروسه الحافلة فقرأ عليه عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ودروس حديثية أخرى وبه تخرج بهذا الفن وحضر شرح التنقيح للقرافي وغيره من كتب الأصول ومصطلح الحديث وشرح صحيح مسلم كما تلقى فنوناً كثيرة مثل الأجرومية وقطر الندى والألفية بشروحها في النحو، ومختصر خليل، والرسالة لإبن أبي زيد القيرواني بشروحها الحافلة، ومختصر ابن عاشر في التوحيد والفقه والتصوف، والسلم في المنطق بحاشية الصبان، وتفسير البيضاوي، وطالع البشرى، وبغية المريد، والعقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني، وما سوى ذلك من العلوم التي تدرس في الجامع المعمور على جلّة من العلماء الأعلام.

رحلاته:

ارتحل الشيخ إلى كثير من البلدان رغبة في لقاء الشيوخ وتوسيع دائرته العلمية وذلك عن طريق الاحتكاك ولقاء الأفاضل فدخل بلاد الشام فلسطين لبنان وسوريا والأردن وخاصة بيت المقدس. ثم دخل العراق وبلاد ا لحجاز، حاجاً ومعتمراً عشرات المرات بل له سنة متبعة في ذلك ما تخلف عنها إلا في سنينه الأخيرة وذلك بسبب الشيخوخة، ودخل الباكستان والهند، وبلاد شرق آسيا مثل اندونيسيا ودرّس فيها وبلاد البوسنة والهرسك وذلك رغبة وحرصاً منه على التلقي والانتفاع والنفع.

تدريسه:

درّس الشيخ في الجامع الأعظم العديد من العلوم منها النحو، والبلاغة وخاصة شرح مختصر السعد، والتاريخ، والحديث، وطبقات الرجال، والفقه، وخاصة شرح الدردير على سيدي خليل، والتفسير بشرح الجلالين، ودرّس في الصادقية وترشيح المعلمين.

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة العلوم على كثير من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

شيوخه من تونس:

1- والده قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر.

2- شيخ الإسلام المالكي علامة الدنيا في المعقول والمقاصد والأصول محمد العزيز جعيط.

3- قاضي الجماعة العلامة المرحوم الشيخ البشير النيفر.

4- العلامة الشيخ الحطاب بوشناق.

5- العلامة محمد العربي الماجري.

6- العلامة المحدث حافظ المذهب في البلاد التونسية محمد الزغواني.

7- شيخ الجامع اللغوي الكبير المفسر الأصولي محمد الطاهر بن عاشور.

شيوخه من المغرب:

1- العا لم الرحالة المسند الشريف عبد الحي الكتاني صاحب فهرس الفهارس.

2- الشيخ محمد الحجوي.

3- الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الحسنى.

شيوخه من بلاد الحجاز:

1- محدث الحرمين الشريفين المسند العلامة والحبر الفهامة سيدي عمر حمدان المحرسي.

2- الشيخ أبو علي حسن محمد المشاط المكي صاحب التّآليف العديدة والأقوال السديدة.

3- مسند العصر محمد ياسين الفاداني كما وسمه شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله.

وغيرهم كثير وفي ذكر هؤلاء الأعلام كفاية إذ هم رؤوس الدراية والرواية.

مؤلّفاته:

للشيخ مؤلفات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط وهذه بعضٌ منها:

1- رسالة في التجنس.

2- باردو المنتزه مدينة الملك.

3- مناقب محرز بن خلف.

4- رسالة في الكلام عن الصفة النفسية.

5- رسالة في تحريم الخمر.

وأخرج كثيراً من نفائس المخطوطات وحققها مثل:

1- المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري.

2- قطعة من موطأ ابن زياد وهو من أهم الموطآت وعليه فوائد كثيرة من تحقيقاته.

3- أمّ القرى في مدح خير الوري.

4- الشقراطسيّة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

5- مسامرات الظريف في حسن التعريف للإمام السنوسي زاد فيه ترجمة والده.

6- إصابة الغرض وإزالة الشبهة عمن اعترض للشيخ قويسم.

وله ديوان يسّر الله طبعه للتداول بين أيدي الناس وأهم ما في هذا الديوان النبويات وأخص ما في النبويات التوسلات ومنها قوله:

إليك رسول الله أرفع حاجتي   فهذه الكروب قد أحاطت بساحتي

وإني راجٍ قد وقفت ببابكم   وإن رجائي في إزالة كربتي

قاله أثناء مرضه بالتيفوئيد وهو ابن خمسة عشر سنة فبرء.

وخرج أخيراً كتاب لمجموعة من علماء تونس اسمه "دراسات" ذكروا فيه كثيراً من مناقب الشيخ وهو خاص به.

خصائصه:

امتاز شيخنا بخلق حضاري رفيع المستوى قل نظيره، وكرم حاتمي بضيوفه وزائريه، فيتحمل هفواتهم في سماحة وصبر ويبذل في إكرامهم كل نفيس، فبارك الله له في حياته وعمره وانتفع بطول عمره غاية الانتفاع كما جاء في الحديث، فجازاه الله عنا وعن المسلمين ما جازى به العلماء والصالحين بمنه وكرمه أمين.

وفاته:

بعدما تم دراسة وتحقيق الصلاة المشيشة للقطب سيدي عبد السلام بن مشيش شرح العلامة الخروبي وذلك على يد مولانا الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله بمساعدة الفقير إلى ربه العلامة أحمد بن منصور قرطام دخل الشيخ رحمه الله مصحة التوفيق في الضاحية الغربية لتونس وذلك إثر نوبة صدرية حادة وادخل العناية المركزة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى وذلك يوم الخميس على الساعة 4.30 صباحاً 4 شعبان 1418هجري الموافق له 1997/12/4 رومي ووقف على تغسيله العبد الفقير العلامة أحمد بن منصور قرطام بحضرة ابنه عبد العظيم والحبيب منير خلف وسيدين آخرين قاما بمشاركته وتم تشييع جثمانه الطاهر من منزله الكائن في منطقة مونفلوري من الضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية باتجاه مقبرة الجلاز حيث مثواه الأخير وذلك يوم الجمعة المبارك 5 شعبان 1418هـ الموافق له 1997/12/5 مع الساعة العاشرة صباحاً بحضور عدد حاشد من الجماهير التونسية والشخصيات المحلية من علماء ووزراء ونواب ومفكرين ومثقفين وسفراء كثر من الدول العربية والإسلامية كالمغرب والأردن واندونيسيا وماليزيا وغيرهم وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانة الشيخ من قلوب الخاصة والعامة، وبعد وصوله إلى مقبرة الجلاز صلى عليه مفتي الجمهورية التونسية فضيلة العلامة الشيخ محمد مختار السلامي وأبّنهُ وزير الشؤون الدينية على الشابي وقام بدفنه رحمه الله كل من أبنائه محمد الطاهر وعبد المهيمن وعياض وعبد العظيم وأنس بن العربي العنابي والعبد الفقير العلامة

أحمد منصور قرطام إلى أن تم مواراته تحت الثرى وتلقينه تغمده الله برحمته وجزاه عنا وعن المسلمين كل خير وبذلك قد فقد التونسيون خاصة والمسلمون عامة أحد أهم أقطاب العلم في هذا القرن ولله الأمر من قبل ومن بعد وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نفعنا الله بعلومه وأفاض علينا من بركاته
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

27 رمضان 1428 هجري الموافق له 8 أكتوبر 2007 رومي

أم القرى في مدح خير الورى

(القصيدة الهمزية)

سمّو المقام النّبوي

كَيْــــفَ تَرْقَـــى رُقِيَّـــكَ الأَنْبِيَـــاءُ يَــا سَمَــاءً مَــا طَاوَلَتْهَــا سَمَــاءُ[2]

لَمْ يُسَـــاوُوكَ فِي عُــــلاَكَ وَقَــدْ حَــا لَ سَـــناً مِنْــكَ دُونَهُـــمْ وَسَـــنَاءُ[3]

إِنَّمَـــا مَثَّلُـــوا صِـــفَاتِكَ لِلنَّـــا سِ كَمَـــا مَثَّـــلَ النُّجُـــومَ الْمَـــاءُ[4]

أَنْـتَ مِصْـبَاحُ كُـلِّ فَضْـلٍ فَمَـا تَصْـ ـــدُرُ إِلاَّ عَـــنْ ضَـــوْئِكَ الأَضْـــواءُ[5]

لَــكَ ذَاتُ الْعُلُــومِ مِــنْ عَــالِمِ الْغَيْـ ـــبِ وَمِنْهَـــا لآدَمَ الأَسْمَـــاءُ[6]

نسبهُ وميـلادهُ

لَمْ تَـــزَلْ فِي ضَـــمَائِرِ الْكَـــوْنِ تُخْتَـــا رُ لَـــكَ الأُمَّهَـــاتُ وَالآبَـــاءُ[7]

مَــا مَضَـــتْ فَتْـــرَةٌ مَـــنَ الرُّسْـــلِ إِلاَّ بَشَّـــرَتْ قَوْمَهَـــا بِـــكَ الأَنْبِيَـــاءُ[8]

تَتَبَــاهَى بِــكَ الْعُصُــورُ وَتَسْــمُو بِـــكَ عَلْيَـــاءُ بَعْـــدَهَا عَلْيَـــاءُ[9]

---

(2) كيف: استفهام مراد به النفي، أي لا ترقى رُقيك الأنبياء، ويا سماء: أي يا مرتبة ما طاولتها ما غالبتها سماء الأنبياء.

(3) أي لم يساوه في شرفه الأنبياء لما منعهم من اللحاق به، سنا وسناء وهما الضوء والرفعة.

(4) ومعنى هذا البيت أن الواصفين لضبط صفاتك مثلهم في وصفهم كتمثيل الماء للنجوم.

(5) ومعنى البيت: أنت كالمصباح في الكمالات، ومنه تستمد.

(6) يفيد هذا البيت أن آدم علِم الأسماء وأنت علِمت الأسماء والمسميات.

(7) فكما طابت ذاته طاب نسبه.

(8) أشار في هذا البيت إلى تبشير الأنبياء ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(9) تتباهي بك العصور: تفتخر.

وَبَـــدَا لِلْوُجُـــودِ مِنـــكَ كَـــرِيمٌ مِـــنْ كَـــرِيمٍ آبَـــاؤُهُ كُرَمَـــاءُ[10]

نَسَـــبٌ تَحْسِـــبُ الْعُـــلاَ بِحُـــلاَهُ قَلَّـــدَتْهَا نُجُومَهَـــا الْجَـــوْزَاءُ[11]

حَبَّـــذَا عِقْـــدُ سُـــؤْدَدٍ وَفَخَـــارٍ أَنْـــتَ فِيـــهِ الْيَتِيمَـــةُ الْعَصْـــمَاءُ[12]

وَمُحَيّـــاً كَالشَّـــمْسِ مِنْـــكَ مُضِـــيءٌ أَسْـــفَرَتْ عَنْـــهُ لَيْلَـــةٌ غَـــرَّاءُ[13]

لَيْلَـــةُ الْمَوْلِـــدِ الَّـــذِي كَـــانَ لِلدِّيـــ ـــنِ سُـــرُورٌ بِيَوْمِـــهِ وَازْدِهَـــاءُ[14]

وَتَوَالَـــتْ بُشْـــرَى الْهَوَاتِـــفِ أَنْ قَـــدْ وُلِـــدَ الْمُصْـــطَفَى وَحَـــقَّ الْهَنَـــاءُ[15]

وَتَـــدَاعَى إِيـــوَانُ كِسْـــرَى وَلَـــولاَ آيَـــةٌ مِنْـــكَ مَـــا تَـــدَاعَى الْبِنَـــاءُ[16]

وَغَـــدَا كُـــلُّ بَيْـــتِ نَـــارٍ وَفِيـــهِ كُرْبَـــةٌ مِـــنْ خُمُودِهَـــا وَبَـــلاَءُ[17]

وَعُيُـــونٌ لِلْفُـــرْسِ غَـــارَتْ فَهَـــلْ كَـــا نَ لِنِـــيرَانِهِمْ بِهَـــا إِطْفَـــاءُ[18]

مَوْلِـــدٌ كَـــانَ مِنْـــهُ فِي طَـــالِعِ الْكُفْـــ ـــرِ وَبَـــالٌ عَلَـــيْهِمُ وَوَبَـــاءُ[19]

فَهَنِيئـــاً بِـــهِ لآمِنَـــةَ الْفَضْـــ ـــلُ الَّـــذِي شُـــرِّفَتْ بِـــهِ حَـــوَّاءُ[20]

---

(10) وبدا للوجود منك كريم: ظهر للوجود منك بوجودك كريم سالم من النقص، والكرم متسلسل فيه من أبويه ومن فوقهما.

(11) فنسبه كامل فمن تأمل فيه حسبه كالنجوم التي قلدتها الجوزاء حلاها.

(12) معناه: نسبه صلى الله عليه وآله وسلم كالقلادة من الجواهر وهو واسطتها.

(13) ومحيا معطوف على عقد، أي حبذا محيا مثل الشمس أسفرت عنه ليلة المولد الغراء.

(14) فليلة المولد ليلة شرُفت بميلاده فكان للدين سرور بيومه وافتخار.

(15) أفاد أنه تتابعت البشارة من الهواتف بميلاده، والهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه.

(16) ومن آيات ميلاده إشراف إيوان كسرى على السقوط وسقوط أربع عشرة شرافة.

(17) ومن آيات الميلاد خمود نار بيوت الفرس التي كانوا يعبدونها.

(18) ومن عجائب ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم أن عيون الماء غارت.

(19) ومنها أن هذا المولود دل على وبال الكفر.

(20) ثم هنأ أمهُ بالفضل الذي حصل لها وثبت، وهي آمنة بنت وهب.

مَــــنْ لِحَــــوَّاءَ أَنَّهَـــا حَمَلَـــتْ أَحْــــ ـــمَدَ أَوْ أَنَّهَـــا بِـــهِ نُفَسَـــاءُ[21]

يَــوْمَ نَالَـــتْ بِوَضْـــعِهِ ابْنَـــةُ وَهْـــبٍ مِـــنْ فَخَـــارٍ مَـــا لَمْ تَنَلْــهُ النِّسَـــاءُ[22]

وَأَتَـــــتْ قَوْمَهَـــــا بِأَفْضَـــــلَ مِمَّـــا حَمَلَـــتْ قَبْـــلُ مَـــرْيَمُ الْعَــــذْرَاءُ[23]

شَمَّتَتْـــــــهُ الأَمْـــــــلاَكُ إِذْ وَضَـــــعَتْهُ وَشَـــــفَتْنَا بِقَولِهَــــــا الشَّـــــــفَّاءُ[24]

رَافِعـــــاً رَأْسَـــــهُ وَفِي ذَلِـــكَ الرَّفْــــ ـــعِ إِلَى كُـــلِّ سُـــؤْدَدٍ إِيمَـــاءُ[25]

رَامِقـــاً طَرْفُـــهُ السَّـــمَاءَ وَمَرْمَـــى عَـــيْنِ مَـــنْ شَـــأْنُهُ الْعُلُـــوُّ الْعَـــلاَءُ[26]

وَتَـــدَلَّتْ زُهْـــرُ النُّجُـــومِ إِلَيْـــهِ فَأَضَـــاءَتْ بِضَـــوْئِهَا الأَرْجَـــاءُ[27]

وَتَـــرَاءتْ قُصِـــورُ قَيْصَـــرَ بِـــالرُّو مِ يَرَاهَـــا مَـــنْ دَارُهُ الْبَطْحَـــاءُ[28]

رضاعه وعجائبه

وَبَـــدَتْ فِي رَضَـــاعِهِ مُعْجِـــزَاتٌ لَـــيْسَ فِيهَـــا عَـــنِ الْعُيُـــونِ خَفَـــاءُ[29]

---

(21) ثم إن حواء وان اشتركت مع آمنة في الشرف فآمنة أشرف.

(22) وقد نالت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بسبب الميلاد ما لم تنله النساء.

(23) وأتت آمنة قومها بأفضل مما ولدته مريم وهو عيسى عليه السلام.

(24) شمتته الملائكة: قالت له رحمك الله، والشفاء قابِلتهُ، وهي أم عبد الرحمن ابن عوف أحد المبشرين بالجنة، وقولها ما أخرجه أبو نعيم وخلاصته إرهاصات ميلاده.

(25) أفاد أن رفع النبي رأسه حين الولادة إشارة إلى رفعته وسيادته.

(26) وفي وضعه وبصره ناظر إلى السماء إشارة إلى أنه لا يقصد إلا أعلى المراتب.

(27) وحين وضعهِ تدلت ودنت النجوم المضيئة فأضاءت بضوئها نواحي السماء.

(28) ومن آيات ميلاده أن قصور قيصر ريئت فرآها من داره بمكة.

(29-30) ابتدأ من هنا في ذكر عجائب رضاعه ومعجزاته فأفاد أنه ظهرت برضاعه معجزات لا تخفى، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة، ويسمى ما قبل البعثة: إرهاصاً، وبعدها: معجزة، وقد أبته المرضعات ليتمه، والغناء النفع، وإنما نشأ يتيماً لئلا يكون في عنقه حق، وبعد أن تركته المرضعات جاءته من آل سعد فتاة هي حليمة السعدية وأرضعته.

إِذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعَاتٌ ... قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غَنَاءُ[30]

فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ ... قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ[31]

أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا ... وَبَنِيهَا أَلْبَانَهُنَّ الشَّاءُ[32]

أَصْبَحَتْ شُوَلاً عِجَافاً وَأَمْسَتْ ... مَا بِهَا شَائِلٌ وَلاَ عَجْفَاءُ[33]

أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحْلٍ ... إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ[34]

يَا لَهَا مِنَّةٌ لَقَدْ ضُوعِفَ الأَجْـ ... ـرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ[35]

وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاساً ... لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ[36]

حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْـ ... ـفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَاءُ[37]

وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ ... وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرَحَاءُ[38]

إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلاَئِكَةُ اللـ ... ـهِ فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرَنَاءُ[39]

---

(32) ومن كرامة هذا المولود أن حليمة بعدما كانت في جدب سقتها الشاء وهي جمع شاة.

(33) ومن كرامته أيضاً أن الشاء كانت لا لبن لها وهي عجاف أي هزيلة فلما أمست ليس فيها شائل ولا عجفاء، فتبدل الحال.

(34) الخصب ضد الجدب، ومن كرامته أن العيش أخصب بعد الجدب عند حليمة، وخصوبة العيش كثرة القوت، والمحل: شدة الجدب وانقطاع المطر.

(35) قد تعجب من منة حليمة بالإرضاع دون أجر فجزاها الله بالخصب بعد المحل.

(36) وإذا وفق الله أناساً لخدمة سعيد فإنهم بسبب ذلك سعداء.

(37) وشبه الناظم ما حصل لها من الخير مع أن ما قدمته قليل بالحبة المبذورة التي تضاعف إنتاجها والعصف الورق اليابس.

(38) وحين أرجعته لجده كان وحدها لفراقه التألم الكثير وهو البُرحَاء.

(39) وأرجعته لجده حين خافت عليه عندما أتته الملائكة الذين شقوا صدره.

وَرَأَى وَجْـــدَهَا بِـــهِ وَمِـــنَ الْوَجْــــ   ـدِ لَهِيـــبٌ تَصْـــلَى بِـــهِ الأُحْشَـــاءُ[40]

فَارَقَتْـــهُ كَرْهـــاً وَكَـــانَ لَـــدَيْهَا   ثَاوِيـــاً لاَ يُمَـــلُّ مِنْـــهُ الثَّـــوَاءُ[41]

شُـــقَّ عَـــنْ قَلْبِـــهِ وَأُخْـــرِجَ مِنْـــهُ   مُضْـــغَةٌ عِنْـــدَ غَسْـــلِهِ سَـــوْدَاءُ[42]

خَتَمَتْـــهُ يُمْـــنَى الأَمِـــينِ وَقَـــدْ أُو   دِعَ مَـــا لَمْ تُـــذَعْ لَـــهُ أَنْبَـــاءُ[43]

صَـــانَ أَسْـــرَارَهُ الْخِتَـــامُ فَـــلاَ الْفَـــ   ـضُّ مُلِـــمٌّ بِـــهِ وَلاَ الإِفْضَـــاءُ[44]

نشأته في حال طفولته وما بعدها

أَلِـــفَ النُّسْـــكَ وَالْعِبَـــادَةَ وَالْخَلْـــ   ـوَةَ طِفْـــلاً وَهَكَـــذَا النُّجَبَـــاءُ[45]

وَإِذَا حَلَّـــتِ الْهِدَايَـــةُ قَلْبـــاً   نَشِـــطَتْ لِلْعِبَـــادَةِ الأَعْضَـــاءُ[46]

حجب الشياطين عند دنوّ البعثة

بَعَـــثَ اللهُ عِنْـــدَ مَبْعَثِـــهِ الشُّهْـــ   ـــبَ حِرَاســـاً وَضَـــاقَ عَنْهَـــا[47]

تَطْـــرُدُ الْجِـــنَّ عَـــنْ مَقَاعِـــدَ لِلسَّمْـــ   ـــعِ كَمَـــا تَطْـــرُدُ الـــذِّئَابَ الرِّعَـــاءُ[48]

---

(40) ورأى جده عبد المطلب شدة وجدها ومحبتها له فرده لها وهذا في المرة الأولى.

(41) وحين ردته حليمة المرة الثانية خوفاً عليه من الجن لما شق صدره لم يرجعه إليها جده ففارقته كُرها.

(42) لما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره وإخراج مضغة سوداء منه، والمضغة قطعة لحم قدّرَ ما يمضغ.

(43) ثم بعد شق صدره لأُمَّتْهُ وأعادته يمنى الأمين أي جبريل وأودع فيه ما لم تحط به أخبار.

(44) حفظ أسرار قلبه المودع فيه الختام الواقع من جبريل فلا يناله الكسر ولا الإشاعة.

(45) وقد أثر شق قلبه فألف العبادة والخلوة وهكذا النجباء.

(46) وإنما كان هذا شأن النجباء لأن الهداية إذا حلت القلب نشطت الأعضاء.

(47) لما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحرست السماء بالشهب، وهي جمع شهاب، وهو شعلة من النار تنفصل من الكواكب تحرق الشيطان.

(48) وهذه الشهب تطرد الجن الذين يجلسون في أمكنة قريبة لاستراق السمع كما يطرد الرعاة الذئاب العادية.

فَمَحَـــتْ آيَـــةَ الْكَهَانَـــةِ آيَـــا ... تُ مِـــنَ الْـــوَحْيِ مَـــا لَهُـــنَّ امِّحَـــاءُ[49]

وَرَأَتْـــهُ خَدِيجَـــةٌ وَالتُّقَـــى وَالـــ ... ـــزُّهْدُ فِيـــهِ سَـــجِيَّةٌ وَالْحَيَـــاءُ[50]

وَأَتَاهَـــا أَنَّ الْغَمَامَـــةَ وَالسَّـــرْ ... حَ أَظَلَّتْـــهُ مِنْهُمَـــا أَفْيَـــاءُ[51]

وَأَحَادِيـــثُ أَنَّ وَعْـــدَ رَسُـــولِ ... اللهِ بِالْبَعْـــثِ حَـــانَ مِنْـــهُ الْوَفَـــاءُ[52]

فَدَعَتْـــهُ إِلَى الـــزَّوَاجِ وَمَـــا أَحْـــ ... ـــسَنَ مَـــا يَبْلُـــغُ الْمُـــنَى الأَذْكِيَـــاءُ[53]

وَأَتَـــاهُ فِي بَيْتِهَـــا جَبْرَئِيـــلُ ... وَلِـــذِي اللُّـــبِّ فِي الأُمُـــورِ ارْتِيَـــاءُ[54]

فَأَمَاطَـــتْ عَنْهَـــا الْخِمَـــارَ لِتَـــدْرِي ... أَهُـــوَ الْـــوَحْيُ؟ أَمْ هُـــوَ الإِغْمَـــاءُ[55]

فَـــاخْتَفَى عِنْـــدَ كَشْـــفِهَا الـــرَّأْسَ جِبْرِيـــ ... ـــلُ فَمَـــا عَـــادَ أَوْ أُعِيـــدَ الغِطَـــاءُ[56]

فَاسْـــتَبَانَتْ خَدِيجَـــةٌ أَنَّـــهُ الْكَنْـــ ... ـــزُ الـــذِي حَاوَلَتْـــهُ وَالكِيمْيَـــاءُ[57]

---

(49) وبسبب ذلك محت آيات الوحي الكهانة، وآيات الوحي لا ينالها المحو.

(50) أفاد هذا البيت وما بعد زواجه بخديجة رضي الله عنها، وذكر هنا أن الذي دعاها إلى الزواج به ما عرفته من سجاياه الكريمة من التقى والزهد، والحياء، وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

(51) أتى الخبر إلى خديجة أن كرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة:

1- أن الغمامة أظلته، والغمامة هي السحابة.

2- أن السرح وهي الشجر العظام أظلته حين مال إليه الفيء منها حين وصلوا إلى بحيرا.

(52) وأتى خديجة أن وقت البعثة قرب.

(53) وبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه رغبت في الزواج به، فقد أدركت بزواجها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب ذكائها ما تمنته وأملته.

(54) ومما يدل على عظم ذكائها أن جبريل لما أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحبت أن تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين. وعلم اليقين علم الحاصل من الدليل، وعين اليقين العلم الحاصل بالمشاهدة وصاحب العقل له استبصار.

(55) وحين جاء جبريل أزاحت عن رأسها الخمار وهو ما يغطى به الرأس لتشاهد وبذلك تتبين أنه وحي لا إغماء.

(56) واختفى جبريل عند كشف رأسها ولم يعد إلا بعد تغطية رأسها.

(57) وبسبب ما ترتب على ذلك علمت أنه الكنز الذي رغبت فيه.

الجِدّ في نشر الدَعوة

ثُمَّ قَـــامَ النَّــــبِيُّ يَـــدْعُو إِلَى اللَّهِ وَفِي الْكُفْـــــرِ نَجْـــــدةٌ وَإِبَـــاءُ[58]

أُمَمـــاً أُشْـــرِبَتْ قُلُـــوبُهُمُ الْكُفْـــــرَ فَـــدَاءُ الضّـــلاَلِ فِـــيهِمْ عَيَـــاءُ[59]

وَرَأَيْنَـــــــا آيَاتِــــــه فَاهْتَــــــدينَا وَإِذَا الْحَـــــقُّ جَـــاءَ زَالَ الْمِـــــرَاءُ[60]

رَبِّ إِنَّ الْهُـــــدَى هُـــــدَاكَ وَآيَـــــا تِـــكَ نُـــورٌ تَهْـــدِي بِهَـــا مَـــنْ تَشَـــاءُ[61]

كَـــمْ رَأَيْنَـــا مَـــا لَـــيْسَ يَعْقِـــلُ قَـــدْ أُلْـــهِـــمَ مَـــا لَـــيْسَ يُلْهَـــمُ الْعُقَـــلاَءُ[62]

إِذْ أَبَى الْفِيـــلُ مَـــا أَتَـــى صَـــاحِبُ الْفِيـــلِ وَلَمْ يَنْفَـــعِ الْحِجَـــا والـــذَّكَاءُ[63]

والْجَمَـــادَاتُ أَفْصَـــحَتْ بِالـــذِي أُخْـــرِسَ عَنْـــهُ لأَحْمَـــدَ الْفُصَـــحَاءُ[64]

وَيْـــحَ قَـــوْمٍ جَفَـــوْا نَبِيّـــاً بِـــأَرْضٍ أَلِفَتْـــــهُ ضِـــــبَابُهَا وَالظِّبَـــــاءُ[65]

الهجرة

وَسَـــلَوْهُ وَحَـــنَّ جِـــذْعٌ إِلَيْـــهِ وَقَلَـــــوْهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبَـــــاءُ[66]

---

(58) جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نشر الدعوة رغم تحزب الكفرة لما نزل عليه قوله تعالى: "يأيها المدثر قم فأنذر".

(59) أمماً: مفعول يدعو، وأفاد أن الأمم أي الجماعات التي يدعوها تمكن الكفر فيها فداء الكفر فيهم لا يرجى برؤه.

(60) أشار في هذا البيت إلى أمة الإجابة وهم الذين شاهدوا معجزاته فاهتدوا وهم الصحابة ومن بعدهم لأنه إذا جاء الحق زال العناد.

(61) الهدى بتوفيق الله تعالى كما أن الضلالة بمشيئته.

(62) ويدل على أن الهداية هداية الله أن ما لا يعقل قد ألهم ما ليس يعقله العقلاء.

(63) وذلك أن الفيل الذي جيء به لهدم الكعبة امتنع ما عزم عليه صاحبه وهو أبرهة.

(64) وكذلك حين امتنعت قريش من الإيمان أفصح الجماد كالجذع الذي حن إليه صلى الله عليه وأله وسلم.

(65) أهلك الله القوم الذين جفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه ألفه الضب والغزال وحديثهما لا أصل لهما.

(66) وسلا عنه قومه وحن إليه الجذع الذي يستند إليه حين يخطب وأبغضوه وأحبه الغرباء وهم الأنصار: الأوس والخزرج الذين لقوه قبل الهجرة بثلاث سنين فتمت العقبات الثلاث.

أخْرَجُــــــوهُ مِنْهَـــــا وَآوَاهُ غَـــارٌ وَحَمَتْــــــهُ حَمَامَــــــةٌ وَرْقَـــــاءُ[67]

وَكَفَتْــــــهُ بِنَسْـــــجِهَا عَنْكَبُــــوتٌ مَــــا كَفَتْـــهُ الْحَمَامَــــةُ الْحَصْــدَاءُ[68]

وَاخْتَفَــى مِــنْهُمُ عَلَــى قُــرْبِ مَــرَآ هُ وَمِـــنْ شِـــدَّةِ الظُّهُـــورِ الْخَفَـــاءُ[69]

وَنَحَــى الْمُصْــطَفَى الْمَدِينَــةَ وَاشْــتَا قَــتْ إِلَيْــهِ مِــنْ مَكَّــةَ الأَنْحَــاءُ[70]

وَتَغَنَّــــتْ بِمَدْحِــــهِ الْجِــــنُّ حَــــتَّى أَطْــرَبَ الإِنْــسَ مِنْــهُ ذَاكَ الْغِنَــاءُ[71]

واقْتَفَــــى إِثْــــرَهُ سُــــرَاقَةُ فَاسْتَهْــ وَتْــهُ فِي الأَرْضِ صَــافِنٌ جَــــرْدَاءُ[72]

ثُمَّ نَــادَاهُ بَعْــدَمَا سِــيمَتِ الْخَسْــ ــفَ وَقَــدْ يُنْجِــدُ الْغَرِيــقَ النِّــدَاءُ[73]

الإسراء والمعراج

فَطَــــوَى الأَرْضَ سَــــائِراً والسَّــــمَوَا تُ العُـــــلاَ فَوْقَهَـــا لَـــهُ إِسْـــرَاءُ[74]

فَصِــفِ اللَّيْلَــةَ الــتِي كَــانَ لِلْمُخْــ ــتَارِ فِيهَـا عَلَـى البُـرَاقِ اسْـتِوَاءُ[75]

---

(67) وحين أُذن له صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة خرج من مكة واختفى في غار ثور ومعه أبو بكر، وحين دخل الغار أنبت الله عليه شجرة أم غيلان ووقف في فم الغار حمامتان.

(68) وكما حمته الحمامتان كذلك حمته العنكبوت بنسيجها والحمامة الحصداء كثيرة الريش.

(69) ولم يظفروا به حين اختفائه فكان من شدة الظهور الخفاء لعناية الله به وكان مكثه في الغار ثلاث ليال.

(70) قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة يوم الاثنين غرة ربيع الأول (13سبتمبر 622م) ودخل قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول (20 سبتمبر) وكانت مدة سفره ثمانية أيام.

(71) وتغنت الجن شعراً علم منه أهل بيت أبي بكر المكان المقصود من الهجرة.

(72) واتبع أثره سراقة بن مالك المدلجي وقد أسلم عام الفتح وحين دنا منهما عثرت به فرسه ثم قام فركبها فدعا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فغاصت قوائم فرسه في الأرض.

(73) وحين خسفت الأرض بفرس سراقة استنجد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له فنجاه الله من الخسف لأن الغريق ينجده النداء.

(74) تحدث على الإسراء بعد الهجرة، وهو قبل الهجرة، وقد طويت له صلى الله عليه وآله وسلم الأرض والسموات حين الإسراء والمعراج، والمعاريج عشرة.

(75) أمر الناظر أن يصف ليلة الإسراء والمعراج، والإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى السماء إلى ما شاء الله،

وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْـــ ـــنِ وَتِلْكَ السِّيَّادَةُ الْقَعْسَاءُ[76]

رُتَبٌ تَسْقُطُ الأَمَانِيُّ حَسْرَى دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ[77]

ثُمَّ وَافَى يُحَدِّثُ النَّاسَ شُكْراً إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّعْمَاءُ[78]

التبليغ والدعاء إلى الله

وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرِيبٍ أَوَ يَبْقَى مَعَ السُّيُولِ الْغُثَاءُ[79]

وَهْوَ يَدْعُو إلى الإِلَهِ وَإِنْ شَـــ ـــقَّ عَلَيْهِ كُفْرٌ بِهِ وَازْدِرَاءُ[80]

وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللهِ بِالتَّوْ حِيدِ وَهْوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ[81]

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لاَنَتْ صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَّاءُ[82]

وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ بَعْدَ ذَاكَ الْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ[83]

وكان الإسراء والمعراج بالجسم والروح.

(76) وقرب صلى الله عليه وآله وسلم من ربه وشبه ذلك القرب المعنوي بقاب قوسين والقاب من القوس ما بين محل مسكه باليد عند الرمي وهو وسطه وبين أخره وهو المحل الذي يربط فيه الوتر.

(77) ونوه بهذه الرتب العظيمة الجليلة التي نالته في تلك الليلة ولا تصل لتلك الرتب الأماني.

(78) ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما وصل مكة قبل الصبح وحدث الناس بنعمة الله وهي كرامة الإسراء والمعراج وحين كذبوه ظهر صدقه بما أزال كل شيء.

(79) وتحدى كفار مكة بالإسراء والمعراج وغيره من معجزاته بما أعجزهم به فانقطعت حجتهم، وكيف يبقى مع السيل الجارف الغثاء وهو ما يحمله السيل من النبات.

(80) تحدى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الله ومتحمل لمشقة الإنكار من الكفر والاستهزاء. وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(81) وهو يدل على توحيد الله تعالى كافة الخلق لأنه مرسل إليهم جميعاً وما دعا إليه هو الطريق الواضحة.

(82) وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(83) وبعد أن لانوا لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجاً استجابت لدعوته الخضراء وهي السماء، والغبراء وهي الأرض أي استجاب له الرفيع والوضيع.

وَأَطَاعَــــتْ لأَمْــــرِهِ الْعَــــرَبُ الْعَــــرْ ... بَــــاءُ والْجَاهِلِيَّــــةُ الجَهْـــــلاَءُ[84]

وَتَوَالَــــتْ لِلْمُصْــــطَفَى الآيَــــةُ الْكُبْــــ ... ـــــرَى عَلَـــيْهِمْ وَالْغَــــارَةُ الشَّـــعْوَاءُ[85]

وَإِذَا مَــــا تَــــلاَ كِتَابــــاً مِــــنَ اللهِ ... تَلَتْــــهُ كَتِيبَــــةٌ خَضْــــرَاءُ[86]

كفاية الله تعالى له

وَكَفَــــاهُ الْمُسْــــتَهْزِئِينَ وَكَــــمْ سَــــا ... ءَ نَبِيّــــاً مِــــنْ قَوْمِــــهِ اسْــــتِهْزَاءُ[87]

وَرَمَــــاهُمْ بِــــدَعْوَةٍ مِــــنْ فِنَــــاءِ ... الْبَيْــــتِ فِيهَــــا لِلظَّــــالِمِينَ فَنَــــاءُ[88]

خَمْسَــــةٌ كُلُّهُــــمْ أُصِــــيبُوا بِــــدَاءٍ ... والــــرَّدَى مِــــنْ جُنُــــودِهِ الأَدْوَاءُ[89]

فَــــدَهَى الأَسْــــوَدَ بْــــنَ مُطَّلِــــبٍ أَيُّ ... عَمــــىً مَيِّــــتٌ بِــــهِ الأَحْيَــــاءُ[90]

وَدَهَــــى الأَسْــــوَدَ بْــــنَ عَبْــــدِ يَغُــــوثٍ ... أَنْ سَــــقَاهُ كَــــأْسَ الــــرَّدَى اسْتِسْــــقَاءُ[91]

وَأصَــــابَ الْوَلِيــــدَ خَدْشَــــةُ سَــــهْمٍ ... قَصَّــــرَتْ عَنْهَــــا الْحَيَّــــةُ الرَّقْطَــــاءُ[92]

وَقَضَــــتْ شَــــوْكَةٌ عَلَــــى مُهْجَــــةِ الْعَــــا ... صِــــي فَلِلَّــــهِ النَّقْعَــــةُ الشَّــــوْكَاءُ[93]

---

(84) وأطاعت أي استجاب له العرب العرباء وهم الخلص والجاهلية الجهلاء.

(85) وتوالت وتتابعت له الآيات الكبرى الدالة على نبوته كالقرآن وانشقاق القمر وتوالت على الأعداء الغارة الشعواء أي المحيطة بهم.

(86) وإذا تلا صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تبعه جيش عظيم.

(87) وكفاه ربه تعالى الذين اشتدت إذايتهم له من المستهزئين وهم جماعة من قومه.

(88) وأصابهم صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته فأهلكتهم حيث دعا عليهم بفناء الكعبة فأفناهم.

(89) وخص الناظم خمسة من المستهزئين وإن كانوا أكثر من ذلك مثل أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، فأصابتهم أدواء أي أمراض.

(90) ثم شرع في ذكر الأمراض التي أصيبوا بها، فأصاب الأسود بن مُطلب بن أسد العمى الذي أهلكه.

(91) كما دهى الأسود بن عبد يغوث بن وهب فحصل له استسقاء في جوفه فمات منه.

(92) وأصاب الوليد بن المغيرة خدشة سهم فتأكلت رجله فمات وهذه الخدشة أشد من السُم.

(93) وقضت شوكة على العاص بن وائل دخلت في أخمص رجله فمات بسببها.

وعَلَـى الحَـارِثِ الْقُيُـوحُ وَقَـدْ سَـا لَ بِهَـا رَأْسُـهُ وَسَـاءَ الْوِعَـاءُ[94]

خَمْسَـةٌ طُهِـرَتْ بِقَطْعِهِـمُ الأَرْ ضُ فَكَـفُّ الأَذَى بِهِـمْ شَـلاَّءُ[95]

نقض الصحيفة

فُـدِيَتْ خَمْسَـةُ الصَّـحِيفَةِ بِالْخَمْـ ـسةِ إِنْ كَـانَ بِـالْكِرَامِ فِـدَاءُ[96]

فِتْيَـةٌ بَيَّتُـوا عَلَـى فِعْـلِ خَـيْرٍ حَمِـدَ الصُّـبْحُ أَمَـرَهُمْ وَالْمَسَـاءُ[97]

يَـالَ أَمْـرٍ أَتَـاهُ بَعْـدَ هِشَـامٍ زَمْعَـةٌ إِنَّـهُ الْفَـتَى الأَتَّـاءُ[98]

وَزُهَـيرٌ والْمُطْعِـمُ بْـنُ عَـديٍّ وَأَبُـو الْبُحْـتُرِيِّ مِـنْ حَيْـثُ شَـاءُوا[99]

نَقَضُـوا مُبْـرَمَ الصَّـحِيفَةِ إِذْ شَـ ـدَّتْ عَلَـيْهِمْ مِـنَ الْعِـدَا الأَنْـدَاءُ[100]

أَذْكَرَتْنَـا بِأَكْلِهَـا أَكْـلَ مِنْسَـا ةِ سُـلَيْمَانَ الأَرْضَـةُ الْخَرْسَـاءُ[101]

وَبِهَـا أَخْبَـرَ النَّـبِيُّ وَكَـمْ أَخْـ ـرَجَ خَبْئـاً لَـهُ الغُيُـوبُ خِبَـاءُ[102]

---

(94) وقضت على الحارث مولى الطلاطلة القيوح التي سالت من رأسه.

(95) فهؤلاء الذين استجيبت الدعوة فيهم طهرت منهم الأرض فكف الأذى شلاء بسبب هلاكهم.

(96) سأل الناظم أن يجعل الله سبحانه وتعالى الخمسة الهالكين للخمسة الذين نقضوا الصحيفة فداء. وقصة الصحيفة أن بني هاشم وبني المطلب لما امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاطعتهم قريش بكتابة صحيفة في جوف الكعبة، وكان ذلك سنة 7 سبع من البعثة، فأقام المقاطعون سنتين أو ثلاثاً حتى اشتد عليهم البلاء، فقام هؤلاء الخمسة ونقضوا الصحيفة، وأشار إلى عزمهم على نقض الصحيفة في البيت التالي.

(97) فأخبر أنهم كرام دبروا نقضها، وحين أريد نقضها أكلتها الأرضة أي السوس.

(98) يا له من أمر أتاه هشام بن الحارث وبعده زمعة بن الأسود.

(99) ذكر في هذا البيت بقية الخمسة وهم زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البحتري.

(100) فهؤلاء الكرام نقضوا ما أبرم في الصحيفة حين صممت عليه من العداء الأنداء جمع ناد، وهو العشيرة.

(101) أفاد أن لأكل الأرضة الصحيفة نظيراً هو أكلها لمنساة سليمان والمنساة: العصا.

(102) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرضة أكلت صحيفة المقاطعة ولم تبق إلا اسمه تعالى، وكم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات كظهور نار الحجاز.

عناية الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

لاَ تَخَـــلْ جَانِـــبَ النَّـــبِيِّ مُضَـــاماً ... حِـــينَ مَسَّـــتْهُ مِـــنْهُمُ الأَسْـــوَاءُ[103]

كُـــلُّ أَمْـــرٍ نَـــابَ النَّبِيئِـــينَ فَالشِّـــ ... دَّةُ فِيـــــهِ مَحْمُـــــودَةٌ وَالرَّخَـــــاءُ[104]

لَـــوْ يَمَـــسُّ النُّضَـــارَ هَـــوْنٌ مِـــنَ النَّـــا ... رِ لَمَـــا اخْتِـــيرَ لِلنُّضَـــارِ الصِّـــلاَءُ[105]

كَـــمْ يَـــدٍ عَـــنْ نَبِيِّـــهِ كَفَّهَـــا اللهُ ... وَفِي الْخَلْـــقِ كَثْـــرَةٌ وَاجْـــتِرَاءُ[106]

إِذْ دَعَـــا وَحْـــدَهُ الْعِبَـــادَ وَأَمْسَـــتْ ... مِنْـــهُ فِي كُـــلِّ مُقْلَـــةٍ أَقْـــذَاءُ[107]

هَـــمَّ قَـــوْمٌ بِقَتْلِـــهِ فَـــأَبَى السَّيْـــ ... ـــفُ وَفَـــاءً وَفَـــاءَتِ الصَّـــفْوَاءُ[108]

وَأَبُـــو جَهْـــلٍ إِذْ رَأَى عُنُـــقَ الْفَحْـــ ... ـــلِ إِلَيْـــهِ كَأَنَّـــهُ الْعَنْقَـــاءُ[109]

وَاقْتَضَـــاهُ النَّـــبِيُّ دَيْـــنَ الإِرَاشِـــ ... ـــيِّ وَقَـــدْ سَـــاءَ بَيْعُـــهُ وَالشِّـــرَاءُ[110]

وَرَأَى الْمُصْـــطَفَى أَتَـــاهُ بِمَـــا لَمْ ... يُـــنْجِ مِنْـــهُ دُونَ الْوَفَـــاءِ النَّجَـــاءُ[111]

هُـــوَ مَـــا قَـــدْ رَآهُ مِـــنْ قَبْـــلُ لَكِـــنْ ... مَـــا عَلَـــى مِثْلِـــهِ يُعَـــدُّ الْخَطَـــاءُ[112]

---

(103) لا تظن جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضاماً أي مضيعاً حين مسه الأذى من المشركين.

(104) وما أصابه من الشدة له فيه أسوة بالأنبياء عليهم السلام، لكن كل أمر أصاب النبيين فالشدة محمودة لأنها ترفع درجاتهم، وكذلك الرخاء.

(105) الأنبياء كالذهب الذي لا يمسه العيب بعرضه على النار، فلا يلحقهم هوان بالشدائد التي تنالهم.

(106) كم يد أرادت إذايته فكفها الله عنه وخذلها، وفي الخلق أي المشركين كثرة إقدام.

(107) فحين دعا كل العباد إلى عبادة الله وترك الجهالات، دعاهم وحده، وبصيرة من يدعوهم في رين كالعين الرمداء.

(108) قد هم قوم بقتله صلى الله عليه وآله وسلم فامتنع السيف من ذلك، وكذلك الحجارة لم تصبه، والصفواء الحجارة.

(109) وكذلك أبو جهل عمرو بن هشام همَّ بقتله فرأى ما هاله فأحجم، والعنقاء طير عظيم.

(110) طلب صلى الله عليه وآله وسلم من أبي جهل أن يدفع دين الإراشي الذي باعه إبلا وماطله فلم يسع أبا جهل إلا أن يعطي الإراشي ما يطلبه لما رأى ما هاله وأخافه.

(111) وقد علم أبو جهل أنه لا نجاة له إلا أن يؤدي دين الإراشي.

(112) رأى أبو جهل في المرتين السابقتين فحلاً مهولاً ولكنه لم يتعظ فإنّ خطأه لا ينحصر.

وَأَعَـــدَّتْ حَمَّالَـــةُ الْحَطَـــبِ الْفِهْـــ ـــرَ وَجَـــاءَتْ كَأَنَّهَـــا الْوَرْقَـــاءُ[113]

يَـــوْمَ جَـــاءَتْ غَضْـــبَى تَقــولُ أَفِي مِثْــ لِيَ مِـــنْ أَحْمَـــدٍ يُقَـــالُ الهِجَـــاءُ[114]

وَتَوَلَّـــتْ وَمَـــا رَأَتْـــهُ وَمِـــنْ أَيْ نَ تَـــرَى الشَّـــمْسَ مُقْلَـــةٌ عَمْيَـــاءُ[115]

ثُمَّ سَمَّـــتْ لَـــهُ الْيَهُودِيَـــةَ الشَّـــا ةَ وَكَـــمْ سَـــامَ الشِّـــقْوَةَ الأَشْـــقِيَاءُ[116]

فَـــأَذَاعَ الـــذِّرَاعُ مَـــا فِيـــهِ مِـــنْ شَـــ ـــرٍ بِنُطْـــقٍ إِخْفَـــاؤُهُ إِبْـــدَاءُ[117]

من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم ومحاسن صفاته

وَبِخُلْـــقٍ مِـــنَ النَّـــبِيِّ كَـــرِيمٍ لَمْ تُقَاصَـــصْ بِجَرْحِهَـــا الْعَجْمَـــاءُ[118]

مَـــنَّ فَضْـــلاً عَلَـــى هَـــوَازِنَ إِذْ كَـــا نَ لَـــهُ قَبْـــلَ ذَاكَ فِـــيهِمْ رِبَـــاءُ[119]

وَأَتَـــى السَّـــبْيُ فِيـــهِ أُخْـــتُ رَضَـــاعٍ وَضَـــعَ الْكُفْـــرُ قَـــدْرَهَا والسِّـــبَاءُ[120]

فَحَبَاهَـــا بِـــرّاً تَوَهَّمَـــتِ النَّـــا سُ بِـــهِ أَنَّمَـــا السِّـــبَاءُ هِـــدَاءُ[121]

بَسَـــطَ المِصْـــطَفَى لَهَـــا مِـــنْ رِدَاءٍ أَيُّ فَضْـــلٍ حَـــوَاهُ ذَاكَ الـــرِّدَاءُ[122]

---

(113) وكذلك أم جميل بنت حرب حمالة الحطب أعدت الفهر أي الحجر لتضرب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(114) أعدت الحجر يوم جاءت غضبى حين نزلت فيها وفي زوجها سورة المسد.

(115) لكنها حين جاءت لم تره، وأين ترى العين العمياء الشمس.

(116) ثم بعد حفظه مما تقدم سمت له اليهودية الشاة في غزوة خيبر سنة سبع، ولم يخف عليه الأمر كما في البيت الآتي.

(117) فأذاع الذراع له بأنه مسموم بنطق لم يسمعه من معه وإنما سمعه هو خاصة.

(118) عدد الناظم من أخلاقه الكريمة جملة منها: الحلم، كهذه اليهودية التي لم يقتلها قصاصاً، وهذا على إحدى الروايتين وفي الأخرى أنه اقتص منها.

(119) ومن خُلقه الكريمة أن منّ على قبيلة هوازن تفضلاً وكرماً، وهوازن قبيلة حليمة السعدية حين غزاها بعد فتح مكة سنة ثمان فرفع الرق عن السبي.

(120) وكان في السبي أخته من الرضاع فأكرمها كما يأتي:

(121) فأعطى برّا بها ما جعل الناس يتوهمون أن السبي نساءُ عرس.

(122) ومن إكرامه لأخته من الرضاع أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه فهنيئا لها ذلك الإكرام.

فَغَـــدَتْ فِيـــهِ وَهْـــيَ سَـــيِّدَةُ النِّسْـــ ـــــوَةِ وَالسَّـــيِّدَاتُ فِيـــهِ إِمَـــاءُ[123]

فَتَنَـــــزَّهْ فِي ذَاتِـــــهِ وَمَعَانِيـــــ ـــهِ اسْـتِمَاعَاً إِنْ عَـزَّ مِنْهَـا اجْـتِلاءُ[124]

وَامْـلإِ السَّـمْعَ مِـنْ مَحَاسِـنَ يُمْلِيـ ـهَـا عَلَيْـكَ الإِنْشَـادُ وَالإِنشَـاءُ[125]

كُـلُّ وَصْـفٍ لَـهُ ابْتَـدَأْتُ بِـهِ اسْـتَوْ عَـبَ أَخْبَـارَ الْفَضْـلِ مِنْـهُ ابْتِـدَاءُ[126]

سَـيِّدٌ ضِـحْكُهُ التَّبَسُّـمُ والْمَشْـ ـيُ الْهُوَيْنَـا وَنَوْمُـهُ الإِغْفَـاءُ[127]

مَـا سِـوَى خُلْقِـهِ النَّسِـيمُ وَلاَغَيْـ ـرَ مُحَيَّـاهُ الرَّوْضَـةُ الْغَنَّـاءُ[128]

رَحْمَـةٌ كُلُّـهُ وَحَـزْمٌ وَعَـزْمٌ وَوَقَـارٌ وَعِصْـمَةٌ وَحَيَـاءُ[129]

لاَ تَحُـلُّ الْبَأْسَـاءُ مِنْـهُ عُـرَى الصَّبْـ ـرِ وَلاَ تَسْـتَخِفُّهُ السَّـرَّاءُ[130]

كَرُمَـتْ نَفْسُـهُ فَمَـا يَخْطُـرُ السُّـو ءُ عَلَـى قَلْبِـهِ وَلاَ الْفَحْشَـاءُ[131]

عَظُمَـتْ نِعْمَـةُ الإِلَـهِ عَلَيْـهِ فَاسْـتُقِلَّتْ لِـذِكْرِهِ الْعُظَمَـاءُ[132]

---

(123) فصارت به أخته من الرضاع سيدة النساء.

(124) لما ذكر ما اختص به من كريم الخلال طلب من العقلاء أن يتنزهوا في سماع صفاته الذاتية وغيرها حيث لم تمكن مشاهدتها بالعين.

(125) إملاء السمع من محاسنه التي لا توجد عند غيره حين يمليها إنشاد الشعر.

(126) ومما يحملك على التنزه في ذاته ومعانيه أنك كلما ابتدأت بوصف له وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل واستوعبها.

(127) ذكر من شمائله في حسن ذاته أن ضحكه كان تبسماً ومشيه بسكينة ووقار، ونومه خفيف، فإنه تنام عينه ولا ينام قلبه.

(128) بعدما أنهى الكلام على محاسن ذاته الشريفة شرع في محاسن أخلاقه فذكر أن النسيم الذي به الحياة هو خلقه الكريم كما أن وجهه هو الروضة الغناء وهي الكثيرة النبات والأزهار.

(129) وكُله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء.

(130) لا تحل الشدة أسباب الصبر ويكفيك من صبره أن المشركين من قريش يوم أحد وقع منهم ما وقع فحين طلب منه الدعاء عليهم قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ولا تخرجه عن ثباته ووقاره السراء.

(131) إنما اتصف بهذه الكمالات لأنه كرمت نفسه وطهرت من كل نقص فلا يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء.

(132) كانت نعمة الله عليه عظيمه، وبسبب ذلك كانت نعمه تعالى على غيره قليلة.

جَهِلَـــتْ قَوْمُـــهُ عَلَيْـــهِ فَأَغْضَـــى وَأَخُـــو الحِلْـــمِ دَأْبُـــهُ الإِغْضَـــاءُ[133]

وَسِـــعَ الْعَـــالَمِينَ عِلْمـــاً وَحِلْمـــاَ فَهْـــوَ بَحْـــرٌ لَمْ تُعْيِـــهِ الأَعْبَـــاءُ[134]

مُسْـــتَقِلٌ دُنْيَـــاكَ أَنْ يُنْسَـــبَ الإِمْــــسَاكُ مِنْهَـــا إِلَيْـــهِ والإِعْطَـــاءُ[135]

شَمْـــسُ فَضْـــلٍ تَحَقَّـــقَ الظَّـــنُّ فِيـــهِ أَنَّـــهُ الشَّـــمْسُ رِفْعَـــةً وَالضِّـــيَاءُ[136]

فَـــإِذَا مَـــا ضَـــحَا مَحَـــى نُـــورُهُ الظِّــــلَّ وَقَـــدْ أَثْبَـــتَ الظِّـــلاَلَ الضُّـــحَاءُ[137]

فَكَـــأَنَّ الْغَمَامَـــةَ اسْـــتَوْدَعَتْهُ مَـــنْ أَظَلَّـــتْ مِـــنْ ظِلِّـــهِ الـــدُّفَفَاءُ[138]

خَفِيَـــتْ عِنْـــدَهُ الْفَضَـــائِلُ وَانْجَـــابَـــتْ بِـــهِ عَـــنْ عُقُولِنَـــا الأَهْـــوَاءُ[139]

أَمَـــعَ الصُّـــبْحِ لِلنُّجُـــومِ تَجَـــلٍّ أَمْ مَـــعَ الشَّـــمْسِ لِلظَّـــلاَمِ بَقَـــاءُ[140]

مُعْجِـــزُ الْقَـــوْلِ وَالْفِعَـــالِ كَـــرِيمُ الْخَلْـــقِ وَالْخُلْـــقِ مُقْسِـــطٌ مِعْطَـــاءُ[141]

لاَ تَقِـــسْ بِـــالنَّبِيِّ فِي الْفَضْـــلِ خَلْقـــاً فَهُـــوَ الْبَحْـــرُ وَالأَنَـــامُ إِضَـــاءُ[142]

كُـــلُّ فَضْـــلٍ فِي الْعَـــالَمِينَ فَمِـــنْ فَضْـــــلِ النَّـــبِيِّ اسْـــتَعَارَهُ الْفُضَـــلاَءُ[143]

---

(133) أغضى عمن آذاه من قريش وغيرهم رغم شدة إيذائهم له، وهذا الإغضاء دأب حال أخي الحلم فلا ينتقم.

(134) وسع صلى الله عليه وآله وسلم جميع العالمين علماً وحلماً فهو بحر في كمال صفاته لم تعيه الأعباء أي الأثقال.

(135) ومن أوصافه الكريمة أنه محتقر للدنيا إمساكها وإعطائها.

(136) وهو شمس فضل فأضواء الفضل كلها مستمدة منه وقد تحقق أنه الشمس والضياء رفعة.

(137) وهو أقوى ضياء من الشمس فلذلك إذا ما ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس محا نوره الظل.

(138) كأن الغمامة لما أظلته استودعته من أظلتهم الدّففاء وهم الصحابة وهذا إشارة إلى أن الأمة في ظله.

(139) وقد خفيت أمام فضائله كل الفضائل التي عند غيره وانكشفت بسببه عن عقولنا الأهواء أي الضلالات.

(140) استفهم، هل يوجد مع الصبح للنجوم إشراق، وهل يبقى الظلام مع الصبح؟ فلا كمال مع كماله كذلك لا يبقى الضلال مع هدايته.

(141) قوله معجز وكذا أفعاله وهو كريم في ذاته وأخلاقه وعادل وكثير العطاء.

(142) لا تقس أي أحد في الفضل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو البحر والأنام إضاء أي غدران.

(143) وكل فضل في جميع العالمين إنما استعاره الفضلاء منه.

من معجزاته

شُـــقَّ عَـــنْ صَـــدْرِهِ وَشُـــقَّ لَـــهُ الْبَـــدْ رُ وَمِـــنْ شَـــرْطِ كُـــلِّ شَـــرْطٍ جَـــزَاءُ[144]

وَرَمَـــى بِالْحَصَـــى فَأَقْصَـــدَ جَيْشـــاً مَـــا الْعَصَـــا عِنْـــدَهُ وَمَـــا الإِلْقَـــاءُ[145]

وَدَعَـــــا لِلأَنَـــــامِ إِذْ دَهَمَـــــتْهُمْ سَـــــنَةٌ مِـــــنْ مُحُولِهَـــــا شَـــــهْبَاءُ[146]

فَاسْـــتَهَلَّتْ بِالْغَيْـــثِ سَـــبْعَةَ أَيَّـــا مٍ عَلَـــيْهِمْ سَـــحَابَةٌ وَطْفَـــاءُ[147]

تَتَحَـــرَّى مَوَاضِـــعَ الرَّعْـــيِ والسَّـــقْيِ وَحَيْـــثُ الْعِطَـــاشُ تُـــوهَى السِّـــقَاءُ[148]

وَأَتَـــى النّـــاسُ يَشْـــتَكُونَ أَذَاهَـــا وَرَخَـــاءٌ يُـــؤْذِي الأَنَـــامُ غَـــلاَءُ[149]

فَـــدَعَا فَـــانْجَلَى الْغَمَـــامُ فَقُـــلْ فِي وَصْـــفِ غَيْـــثٍ إِقْلاَعُـــهُ اسْتِسْـــقَاءُ[150]

ثُمَّ أَثْـــرَى الثَّـــرَى فَقَـــرَّتْ عُيُـــونٌ بِقُرَاهُـــا وَأُحْيِيَـــتْ أَحْيَـــاءُ[151]

فَتَـــرَى الأَرْضَ غِبَّـــهُ كَسَـــمَاءٍ أَشْـــرَقَتْ مِـــنْ نُجُومِهَـــا الظَّلْمَـــاءُ[152]

تُخْجِـــلُ الـــدُّرَّ وَالْيَوَاقِيـــتَ مِـــنْ نَـــوْ رِ رُبَاهَـــا الْبَيْضَـــاءُ وَالْحَمْـــرَاءُ[153]

---

(144) شرع في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم فذكر منها شق صدره كما تقدم، كما ذكر انشقاق القمر وانشقاقه جزاء شق صدره.

(145) ومن معجزاته أنه رمى كفاً من الحصى فأهلك جيشاً وذلك في غزوة بدر، ولا تقس بهذه المعجزة عصا موسى، ولا إلقاءها على السحرة.

(146-147) ومن المعجزات أنه دعا حين عم الأنام الجدب فاستهلت الأمطار سبعة أيام.

(148) وصف السحابة بأنها تقصد مواضع الرعي والسقي ومواضع العطاش.

(148- 149) ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(150- 151) ثم بعد ذلك الغيث النافع أثرى الثرى وبسبب هذا فرحت العيون بسبب عمارة القرى، حتى أصبحت الأرض من النبات والأزهار كالسماء بالنجوم. ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(153) وبسبب كثرة الأزهار والأعشاب أخجلت الدر واليواقيت.

تمني الناظم رؤيته ولقاءه صلى الله عليه وآله وسلم

لَيْتَــهُ خَصَّــنِي بِرُؤْيَــةِ وَجْــهٍ ... زَالَ عَــنْ كُــلِّ مَــنْ رَآهُ الشَّــقَاءُ[154]

مُسْــفِرٍ يَلْتَقِــي الْكَتِيبَــةَ بَسَّــا ... مــاً إِذَا أَسْــهَمَ الْوُجُــوهَ اللِّقَــاءُ[155]

جُعِلَــتْ مَسْــجِداً لَــهُ الأَرْضُ ... ــزَّ بِــهِ لِلصَّــلاَةِ فِيهَــا حِــرَاءُ[156]

مُظْهِــرٍ شَــجَّةَ الْجَبِــينِ عَلَــى الْبُــرْ ... ءِ كَمَــا أَظْهَــرَ الْهِــلاَلَ الْبَــرَاءُ[157]

سُــتِرَ الْحُسْــنُ مِنْــهُ بِالْحُسْــنِ ... لِجَمَــالٍ لَــهُ الْجَمَــالُ وِقَــاءُ[158]

فَهْــوَ كَــالزَّهْرِ لاَحَ مِــنْ سَــجَفِ ... ــمَامِ وَالْعُــودِ شُــقَّ عَنْــهُ اللِّحَــاءُ[159]

كَــادَ أَنْ يُغْشِــيَ الْعُيُــونَ سَــنىً مِنْـ ... ــهُ لِسِــرٍّ فِيــهِ حَكَتْــهُ ذُكَــاءُ[160]

صَــانَهُ الْحُسْــنُ وَالسَّــكِينَةُ أَنْ تُظْـ ... هِــرَ فِيــهِ آثَارَهَــا الْبَأْسَــاءُ[161]

وَتَخَــالُ الْوُجُــوهَ إِنْ قَابَلَتْــهُ ... أَلْبَسَــتْهَا أَلْوَانَهَــا الْحِرْبَــاءُ[162]

فَــإِذَا شِمْــتَ بِشْــرَهُ وَنَــدَاهُ ... أَذْهَلَتْــكَ الأَنْــوَارُ وَالأَنْــوَاءُ[163]

---

(154) شرع من هذا البيت في تمني لقائه صلى الله عليه وآله وسلم فتمنى أن يخصه برؤية وجهه الكريم الذي يزول على من رآه الشقاء

(155) ذكر بعض صفات الوجه الكريم من أنه مشرق وهو يلتقي الجيش مبتسماً في الوقت الذي تتغير فيه الوجوه بسبب اللقاء.

(156) وجعلت لهذا الوجه الكريم الأرض مسجداً والأمة تبع له واهتز جبل حراء بهذا الجَعْل، وحراء الجبل الذي كان يتعبد فيه قبل النبوة

(157) وجهه الكريم أظهر شجة جبينه مع برئها فكانت تلك الشجة غاية في الجمال كالهلال أول ليلة.

(158) وسُتِرَ الحسن الأصلي بوجهه الكريم بالحسن العارض وهو الشجة.

(159) ما ظهر من الشجة كالزهر ظهر من الأكمام وهي أغطية النور أو كالعود الذي يتطيب به إذا أزيل عنه قشرهُ.

(160) وكاد جمال وجهه بالشجة يغشى العيون وذلك لسر فيه حكته ذكاء وهي الشمس.

(161) وصان جمال وجهه في حسنه وسكينته أن تظهر فيه آثارها البأساء.

(162) وتخجل الوجوه إذا قابلته فتتلون كما تتلون الحرباء.

(163) فإذا شمت أي نظرت طلاقة وجهه وجوده أذهلتك أنوار وجهه وأنواء جوده.

أَوْ بِتَقْبِيـــــلِ رَاحَـــــةٍ كَـــانَ للهِ وَبِـــــاللهِ أَخْـــــذُهَا وَالْعَطَـــــاءُ[164]

تَتَّقِـــي بَأْسَـــهَا الْمُلُـــوكُ وَتَحْظَـــى بِالْغِنَـــا مِـــنْ نَوَالِهَـــا الْفُقَـــرَاءُ[165]

لاَ تَسَـــلْ سَـيْلَ جُودِهَـــا إِنَّمَـــا يَكْـــفِيكَ مِـــنْ وَكْـــفِ سُـحْبِهَا الأَنْـدَاءُ[166]

دَرَّتِ الشَّـــاةُ حِـــينَ مَـــرَّتْ عَلَيْهَـــا فَلَهَـــــا ثَـــــرْوَةٌ بِهَـــا وَنَمَـــاءُ[167]

نَبَـــعَ الْمَـــاءُ أَثْمَـــرَ النَّخْـــلُ فِي عَـــامٍ بِهَـــا سَـــبَّحَتْ بِهَـــا الْحَصْـــبَاءُ[168]

أَحْيَـــتِ الْمُـــرْمِلِينَ مِـــنْ مَـــوْتِ جَهْـــدٍ أَعْـــوَزَ الْقَـــوْمَ فِيـــهِ زَادٌ وَمَـــاءُ[169]

فَتَغَـــذَّى بِالصَّـــاعِ أَلْـــفٌ جِيَـــاعٌ وَتَـــرَوَّى بِالصَّـــاعِ أَلْـــفٌ ظِمَـــاءُ[170]

وَوَفَى قَـــدْرُ بَيْضَـــةٍ مِـــنْ نُـــضَارٍ دَيْـــنَ سَـــلْمَانَ حِـــينَ حَـــانَ الْوَفَـــاءُ[171]

كَـــانَ يُـــدْعَى قِنّـــاً فَـــأُعْتِقَ لَمَّـــا أَيْنَعَـــــتْ مِـــــنْ نَخِيلِـــهِ الأَقْنَـــاءُ[172]

أَفَـــلاَ تَعْـــذِرُونَ سَـــلْمَانَ لَمَّـــا أَنْ عَرَتْـــهُ مِـــنْ ذِكْـــرِهِ الْعُـــرَوَاءُ[173]

---

(164) لما أنهى تمني رؤية وجهه الكريم وأوصافه تمنى تقبيل راحته التي كان لله أخذها وعطاؤها.

(165) وكفه هذه تتقي بأسها الملوك وتحظى أي تفوز بالغنى من نوالها الفقراء.

(166) ولا تسأل جود هذه الكف لأنه يكفيك البلل منها لأن فيها الغنى.

(167) وقد درت هذه الراحة الكريمة الشاة حين حلبها وذلك حين الهجرة.

(168) وظهرت من راحته معجزات منها نبع الماء من بين أصابعه وإثمار النخل في عام واحد وبها سبَّحت الحصباء.

(169) وأحيت هذه الكف المرملين وهم الذين لا زاد لهم في وقت الجدب عندما فقد القوم الزاد والماء.

(170) ومن أوصافها أنها غذَّت بصاع واحد ألف جائع، كما أروت الألف الظِمَاء، أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكاتبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

(171) أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكاتبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

(172) وكذلك كاتبه سيده على غرس ثلاثمائة نخلة فغرسها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأثمرت من عامها.

(173) والأقناء جمع قنو وهو العذق ألا تعذرون سلمان لما اعترته العُرَوَاءُ أي الحمى حين ذكر اليهودي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وَأَزَالَــــــتْ بِلَمْسِــــــهَا كُــــــلَّ دَاءٍ أَكْبَرَتْــــــهُ أَطِبَّــــــةٌ وَإِسَــــــاءُ[174]

وَعُيُــونٌ مَــرَّتْ بِهَــا وَهْــيَ رُمْــدٌ فَأَرَتْهَــا مَــا لَمْ تَــرَ الزَّرْقَــاءُ[175]

وَأَعَــادَتْ عَلَــى قَتَــادَةَ عَيْنــاً فَهْــيَ حَــتَّى مَمَاتِــهِ الــنَّجْلاَءُ[176]

أَوْ بِلَــثْمِ التُّــرَابِ مِــنْ قَــدَمٍ لاَ نَــتْ حَيَــاءً مِــنْ مَشْــيِهَا الصَّــفْوَاءُ[177]

مَــوْطِئِ الأَخْمُــصِ الــذِي مِنْــهُ لِلْقَلْــ ـــب إِذَا مَضْــجَعِي أَقَــضَّ وِطَــاءُ[178]

حَظِــيَ الْمَسْــجِدُ الْحَــرَامُ بِمَمْشَــا هَــا وَلَمْ يَــنْسَ حَظَّــهُ إِيلْيَــاءُ[179]

وَرَمَــتْ إِذْ رَمَــى بِهَــا ظُلَــمَ اللَّيْــ ـــلِ إِلَى اللهِ خَوْفُــهُ وَالرَّجَــاءُ[180]

دَمِيَــتْ فِي الْــوَغَى لِتُكْسِــبَ طِيبــاً مَــا أَرَاقَــتْ مِــنَ الــدَّمِ الشُّــهَدَاءُ[181]

فَهْــيَ قُطْــبُ الْمِحْــرَابِ وَالْحَــرْبِ كَــمْ رَتْ عَلَيْهَــا فِي طَاعَــةٍ أَرْحَــاءُ[182]

وَأَرَاهُ لَــوْ لَمْ يُسَــكِّنْ بِهَــا قَبْــ ـــلُ حِــرَاءً مَاجَــتْ بِــهِ الــدَّأْمَاءُ[183]

القــرآن

(174) ومن أوصاف راحته صلى الله عليه وآله وسلم أنها أزالت بلمسها كل داء عجزت عنه الأطباء وأكبرته الإساء أي الأطباء.

(175) ومن أوصافها أنها برئت بها عيون كانت رمداء فأصبحت ترى أكثر من الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى على مسيرة ثلاثة أيام. وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر.

(176) وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر، أي ليته خصني بلثم التراب المنفصل من قدمه الشريفة التي لانت لها الصفواء أي الحجارة الصلدة حياء من مشيها.

(177) المعنى أن الناظم لو رقد على تراب مسته قدامه لسرى سرهما إلى قلبه والأخمص باطن القدم الذي لا يلتصق بالأرض.

(178) ومن أوصاف قدمه الشريفة أنه حظي المسجد الحرام بممشى تلك القدم فيه، ولم ينس حظه إيلياء أي بيت المقدس.

(179) ومنها: أنها ورمت – بكسر الراء– أي تورمت حين قام بها تهجداً في الليل.

(180) وكذلك دميت قدمه في الوغى لتكسب ما أراق الشهداء من الدم طيباً.

(181) وهي قطب المحراب والحرب معاً، فهي قطب العبادات والجهاد وكم دارت عليها في طاعة الله أرحاء أي قبائل العرب.

(182) اعلم أنه لو لم يسكن بها أي بقدمه من قبل غار حراء لاضطراب الجبل.

(183) عجب من الكفار حين زادوا ضلالاً مع أنهم جاءهم الذي فيه للعقول اهتداء من المعجزات، ومنها القرآن.

عَجَبـــــاً لِلْكُفَّـــــارِ زَادُوا ضَــــــلاَلاً بِالـــذِي فِيـــهِ لِلْعُقُـــولِ اهْتِـــدَاءُ[184]

والـــذِي يَسْـــأَلُونَ مِنْـــهِ كِتَـــابٌ مُنْـــزَلٌ قَـــدْ أَتَـــاهُمُ وَارْتِقَـــاءُ[185]

أَوَلَمْ يَكْفِهِـــمْ مِـــنَ اللهِ ذِكْـــرٌ فِيـــهِ لِلنَّـــاسِ رَحْمَـــةٌ وَشِـــفَاءُ[186]

أَعْجَـــزَ الإِنْـــسَ آيَـــةٌ مِنْـــهُ وَالْجِـــ ـــنَّ فَهَـــلاَّ تَـــأْتِي بِهَـــا الْبُلَغَـــاءُ[187]

كُـــلَّ يَـــوْمٍ تُهْـــدِي إِلَى سَـــامِعِيهِ مُعْجِـــزَاتٍ مِـــنْ لَفْظِـــهِ الْقُـــرَّاءُ[188]

تَتَحَلَّـــى بِـــهِ الْمَسَـــامِعُ والأَفْـــ ـــوَاهُ فَهْـــوَ الْحُلِـــيُّ وَالْحَلْـــوَاءُ[189]

رَقَّ لَفْظـــاً وَرَاقَ مَعْـــنىً فَجَـــاءَتْ فِي حُلاَهَـــا وَحَلْيِهَـــا الْخَنْسَـــاءُ[190]

وَأَرَتْنَـــا فِيـــهِ غَـــوَامِضَ فَضْـــلٍ رِقَّـــةٌ مِـــنْ زُلاَلِهَـــا وَصَـــفَاءُ[191]

إِنَّمَـــا تُجْتَلَـــى الْوُجُـــوهُ إِذَا مَـــا جُلِيَـــتْ عَـــنْ مِرْآتِهَـــا الأَصْـــدَاءُ[192]

سُـــوَرٌ مِنْـــهُ أَشْـــبَهَتْ صُـــوَراً مِـــ ـــنَّا وَمِثْـــلُ النَّظَـــائِرُ النُّظَـــرَاءُ[193]

وَالأَقَاوِيـــلُ عِنْـــدُهُمْ كَالتَّمَاثِيـــ ـــلِ فَـــلاَ يُوهِمَنَّـــكَ الْخُطَبَـــاءُ[194]

---

(184) سألوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بكتاب تعنتاً وعناداً فأتاهم به وحياً من الله جل وعلا.

(185) يتعنتون ولم يكفهم القرآن المعجز الذي فيه للناس رحمة وشفاء.

(186) شرع يذكر صفات القرآن الذي أعجزت آية منه الإنس والجن فهلاَّ يأتي بآيةٍ البلغاء.

(187) ولاشتمال القرآن على مالا يحصى من العلوم والمغيبات وغير ذلك كان في كل وقت تُهدي القراءُ إلى السامعين معجزات من لفظه

(188) تتحلى بسماعه المسامع والأفواه فهو للمسامع حُلي وللأفواه حلواء.

(189) قد حسن لفظه وتصفى من شوائب النقص فحري بأن يشبه بالمرأة الحالية، ولكن القرآن أبلغ من ذلك.

(190) وأوضحت آيات القرآن الرقية الحلوة الصافية غوامض وخفايا من العلوم والمعارف المستنبطة منه.

(191) وآيات القرآن لا تظهر إلا للعقول السليمة لأنه لا تُجتلى الوجوه وتظهر إلا في المرآة الصافية.

(192) تماثل سور القرآن الفضلاء منا.

(193) ما تقوله الكفار في القرآن هو من الأباطيل المزخرفة كزخرفتهم للتماثيل.

(194) كم أوضحت آيات القرآن من علوم لا غاية تنتمي إليها قال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء".

كَــــمْ أَبَانَـــتْ آيَاتُـــهُ مِـــنْ عُلُـــومٍ عَــنْ حُــرُوفٍ أَبَــانَ عَنْهَــا الْهِجَــاءُ[195]

فَهْــيَ كَالْحَــبِّ وَالنَّــوَى أَعْجَــبَ الــزُّ رَّاعَ مِنْـــــهُ سَـــــنَابِلٌ وَزَكَـــــاءُ[196]

فَأَطَــــالُوا فِيــــهِ التَّـــرَدُّدَ والرَّيْـــ ـــبَ فَقَــالُوا سِــحْرٌ وَقَــالُوا افْــتِرَاءُ[197]

وَإِذَا الْبَيِّنَـــــاتُ لَمْ تُغْـــــنِ شَـــــيْئاً فَالْتِمَـــاسُ الْهُـــدَى بِهِــنَّ عَنَــاءُ[198]

وَإِذَا ضَـــلَّتِ الْعُقُـــولُ عَلَـــى عِلْـــ ـــمٍ فَمَـــاذَا تَقُولُـــهُ النُّصَـــحَاءُ[199]

ما آل إليه أمر أهل الكتابيْن

قَـــوْمَ عِيسَـــى عَـــامَلْتُمُ قَـــوْمَ مُوسَـــى بِالـــــذِي عَـــــامَلَتْكُمُ الْحُنَفَـــــاءُ[200]

صَـــــدَّقُوا كُتْـــبَكُمُ وَكَـــذَّبْتُمُ كُتْــــ ـــــبَهُمُ إِنَّ ذَا لَبِــــئْسَ الْبَــــوَاءُ[201]

لَـــوْ جَحَـــدْنَا جُحُـــودَكُمْ لاَسْـــتَوَيْنَا أَوَ لِلْحَـــقِّ بِالضَّـــلاَلِ اسْـــتِوَاءُ[202]

مَـــالَكُمْ إِخْـــوَةَ الْكِتَـــابِ أُنَاســـاً لَــيْسَ يُرْعَــى لِلْحِــقِّ مِــنْكُمْ إِخَــاءُ[203]

يَحْسُـــــدُ الأَوَّلُ الأَخِـــــيرَ وَمَـــــا زَا لَ كَــــذَا الْمُحْـــــدَثُونَ وَالْقُــــدَمَاءْ[204]

---

(195) إن حروف القرآن ما يستخرج منها غزير كالحب المبذور.

(196) والكفار رغم صفات القرآن الباهرة استمروا على الإعراض والإنكار فقالوا: سحرٌ وافتراء في كتاب الله.

(197) وإذا البينات والحُجج الواضحة لم تفدهم شيئا فطلب الهدى من البينات عناء.

(198) وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النُّصحاء من الأنبياء والمبلغين.

(199) شرع في الكلام على ما آل إليه أمر أهل الكتابين لما جاءهم الإسلام فقال: يا قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتكم الحنفاء به وهو تصديقكم بالتوراة، كما أن أهل الإسلام صدقوا كتابكم وهو الإنجيل.

(200) صدّق قوم عيسى بالتوراة وكذب اليهود بالإنجيل فبئست المكافأة.

(201) لو جحد المسلمون كتابكم أيها اليهود كما أنكرتم كتابنا والإنجيل لاستوينا، ثم بين أنه لا يكون ذلك ولا يتصور لأننا لا نجحد الحق

(202) ما لكم يا أهل الكتاب أناساً لا يصدر منكم مراعاة للدين الحق.

(203) ومن عدم رعايتكم للحق أن الأول يحسد الأخير.

(204) قد عملتم يا أهل الكتاب بظلم قابيل وهو أول أولاد آدم عليه السلام هابيل وهو ثاني أولاد آدم حسداً له.

قَــدْ عَلِمْــتُمْ بِظُلْــمِ قَابِيــلَ هَابِيــ ـــلَ وَمَظْلُــومُ الإِخْــوَةِ الأَتْقِيَــاءُ[205]

وَسَمِعْــتُمْ بِكَيْــدِ أَبْنَــاءِ يَعْقُــو بَ أَخَــاهُمْ وَكُلُّهُــمْ صُــلَحَاءُ[206]

حِــينَ أَلْقَــوْهُ فِي غَيَابَــةِ جُــبٍّ وَرَمَــوْهُ بِالإِفْــكِ وَهْــوَ بَــرَاءُ[207]

فَتَأَسَّــوْا بِمَــنْ مَضَــى إِذْ ظُلِمْــتُمْ فَالتَّأَسِّــي لِلــنَّفْسِ فِيــهِ عَــزَاءُ[208]

أَتَــرَاكُمْ وَفَّيْــتُمُ حِــينَ خَــانُوا أَمْ تُــرَاكُمْ أَحْسَــنْتُمُ إِذْ أَسَــاءُوا[209]

بَــلْ تَمَــادَتْ عَلَــى التَّجَاهُــلِ آبَــا ءٌ تَقَفَّــتْ آثَارَهَــا الأَبْنَــاءُ[210]

بَيَّنَتْــهُ تَــوْرَاتُهُمْ وَالأَنَاجِيــ ــلُ وَهُــمْ فِي جُحُــودِهِ شُــرَكَاءُ[211]

إِنْ تَقُولُــوا مَــا بَيَّنَتْــهُ فَمَــا زَا لَــتْ بِهَــا عَــنْ عُيُــونِهِمْ غَشْــوَاءُ[212]

أَوْ تَقُولُــوا قَــدْ بَيَّنَتْــهُ فَمَــا لِلْــ ــأُذْنِ عَمَّــا تَقُولُــهُ صَــمَّاءُ[213]

عَرَفُــوهُ وَأَنْكَــرُوهُ وَظُلْمــاً كَتَمَتْــهُ الشَّــهَادَةَ الشُّــهَدَاءُ[214]

أَوَ نُــورَ الإِلَــهِ تُطْفِئُــهُ الأَفْــ ــوَاهُ وَ هْــوَ الــذِي بِــهِ يُسْتَضَــاءُ[215]

---

(205) وخاطب أهل الكتابين بأنهم هل سمعوا بكيد أبناء يعقوب لأخيهم يوسف حين ألقوه في غيابة الجب ورموه بالسرقة وهو أخوهم الصغير.

(207) وإذا علمتم ما وقع لمن قبلكم فتعزوا بمن مضى قبلكم.

(208) ثم قال أتظنكم أهل الكتاب أيها المسلمون أنكم وفيتم بما عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحق حين كتموه؟، وأتظنكم أحسنتم إذ أساؤا؟ بل لا يرون شيئا من ذلك واستمروا على التجاهل، وتبعت الأبناء آثار الآباء الباطلة.

(210) بينت التوراة والأناجيل الحق ومن جملته إثبات نبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشترك اليهود والنصارى في جحود الحق الثابت في كتبهم.

(211) إن يقل أهل الكتاب من اليهود والنصارى إن كتبهم لم تبين الحق فلم تزل العماية على عيونهم بل هي باقية.

(212) وإن يقولوا قد بينته كتبهم فأي شيء جعل آذانهم صماء.

(213) عرفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قرارة نفوسهم ولكنهم في الظاهر منكرون وإنما دعاهم إلى ذلك الظلم والحسد والعناد.

(214) ثم قال لا يمكن أن تطفئ الأفواه نور الله وهو النبوة.

(215) وضح لهم بعد ذلك أن الحق يعلو فها أن سلف هؤلاء المنكرين قد أهلكتهم الحرب كما وقع لبني النضير من الجلاء وقتل بني

أَوَ لاَ يُنْكِــــرُونَ مَـــــنْ طَحَنَـــــتْهُمْ ... بِرَحَاهَــــا عَــــنْ أَمْــــرِهِ الْهَيْجَــــاءُ[216]

وَكَسَــاهُمْ ثَـــوْبَ الصَّـــغَارِ وَقَــدْ طُلَّـــ ... ــتْ دِمــاً مِــنْهُمْ وَصِــينَتْ دِمَــاءُ[217]

كَيْــفَ يَهْــدِي الإِلَــهُ مِــنْهُمْ قُلُوبــاً ... حَشْــوُهَا مِــنْ حَبِيبِــهِ الْبَغْضَــاءُ[218]

خَبِّرُونَــا أَهْــلَ الْكِتَــابَيْنِ مِــنْ أَيْـــ ... ــنَ أَتَــاكُمْ تَثْلِيــثُكُمْ وَالْبَــدَاءُ[219]

مَـــا أَتَــى بِالْعَقِيــدَتَيْنِ كِتَــابٌ ... وَاعْتِقَــادٌ لاَ نَــصَّ فِيــهِ ادِّعَــاءُ[220]

وَالــدَّعَاوِي مَـــا لَمْ تُقِيمُــوا عَلَيْهَــا ... بَيِّنَــــاتٍ أَبْنَاؤُهَــــا أَدْعِيَــــاءُ[221]

لَيْــتَ شِــعْرِي ذِكْــرُ الثَّلاَثَــةِ وَالْــوَا ... حِــدِ نَقْــصٌ فِي عَــدِّكُمْ أَمْ نَمَــاءُ[222]

كَيْــفَ وَحَّــدْتُمُ إِلاَهــاً نَفَــى التَّــوْ ... حِيــدَ عَنْــهُ الآبَــاءُ وَالأَبْنَــاءُ[223]

أَأَلِــــهٌ مُرَكَّــــبٌ مَــــا سَمِعْنَــــا ... بِإِلَــــهٍ لِذَاتِــــهِ أَجْــــزَاءُ[224]

أَلِكُــلٍّ مِــنْهُمْ نَصِــيبٌ مِــنَ الْمُلْــ ... ــكِ فَهَــلاَّ تُمَيَّــزُ الأَنْصِــبَاءُ[225]

قريظة، فإن استمر أهل الكتابين على إنكار الحق نالهم ما نال سلفهم.

(216) اشتد الإسلام على اليهود لِمَا اتصفوا به من المكر فطلت دماء بني قريظة، وصينت دماء بني النضير بإجلائهم.

(217) كيف يهدي الإله قلوباً لأهل الكتابين حشوها شدة البغض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(218) أعلِمونا أهل الكتابين التوراة والإنجيل من أين أتى التثليث – الله وعيسى ومريم– وهو عقيدة النصارى، والبداء وهو ظهور المصلحة لله تعالى بعد خفائها وهو عقيدة اليهود.

(219) بعد أن استفهم استفهاماً إنكارياً بين أن العقيدتين التثليث والبداء لم يأت بهما كتاب منزل، واعتقاد ما لا نص فيه باطل.

(220) وما تدّعونه يا معشر اليهود والنصارى ما لم تقيموا عليه أدلة قطعية فهو ادعاء باطل وأصحابه أدعياء.

(221) بيّن تناقض النصارى في ادعائهم التثليث والتوحيد فحينئذ يكون التثليث الذي تدعونه زيادة على الواحد، وادعاؤكم التوحيد نقصاً، وأثبت لهم التناقض لأنهم يثبتون التوحيد تارة والتثليث أخرى.

(222) تعجب في هذا البيت من النصارى كيف يقولون بالتوحيد مع أن نسبة الأبوة والبنوة تنفيه.

(223) استفهم استفهاماً إنكارياً قائلا: أيمكن أن يكون إله له أجزاء؟ وذلك مما يحيله العقل.

(224) إنما أحال العقل أن يكون الإله ذا أجزاء لأنه يلزم أن يكون لكل أحد من الآلة نصيب من الملك مع أن ذلك لم يقع فلا تعدد.

(225) وإن قيل أن الآلة خلطوا أنصباءهم من الملك، قبل ذلك فهو دليل العجز والإله لا يكون عاجزاً، ثم أنه متى وجدت الشركة وجد التنازع وهو مؤدٍ إلى خراب العالم وهذا أخذٌ من قوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء:22) أي لو كان آلهة في

أَتُـــــرَاهُمْ لِحَاجَـــــةٍ وَاضْـــــطِرَارٍ خَلَطُوهَـــا وَمَـــا بَغَـــى الْخُلَطَـــاءُ[226]

أَهُـــوَ الرَّاكِـــبُ الْحِمَـــارَ فَيَـــا عَجْـــ ـــــزَ إِلَـــهٍ يَمَسُّـــهُ الإِعْيَـــاءُ[227]

أَمْ جَمِيـــعٌ عَلَـــى الْحِمَـــارِ لَقَـــدْ جَـــ ـــــلَّ حِمَـــارٌ بِجَمْعِهِـــمْ مَشَّـــاءُ[228]

أَمْ سِـــوَاهُمْ هُـــوَ الإِلَـــهُ فَمَـــا نِسْـــ بَـــةُ عِيسَـــى إِلَيْـــهِ وَالإِنْتِمَـــاءُ[229]

أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَـــا الصِّـــفَاتِ فَلِـــمْ خُصِّـــ ـــــتْ ثُـــلاَثٌ بِوَصْـــفِهِ وَثُنَـــاءُ[230]

أَمْ هُـــــوَ ابْـــــنٌ للهِ مَـــــا شَـــــارَكَتْهُ فِي مَعَـــــانِي الْبُنُـــــوَّةِ الأَنْبِيَـــــاءُ[231]

قَتَلَتْـــــهُ الْيَهُـــــودُ فِيمَـــــا زَعَمْـــــتُمْ وَلأَمْـــــوَاتِكُمْ بِـــــهِ إِحْيَـــــاءُ[232]

إِنَّ قَـــوْلاً أَطْلَقْتُمُـــــوهُ عَلَـــى اللّـــــ ـــــهِ تَعَـــالَى ذِكْـــراً لَقَـــوْلٌ هُـــرَاءُ[233]

السموات والأرض غير الله لفسدتا لكنهما لم تفسدا فحينئذ انتفى تعدد الآلهة وثبت التوحيد.

(226– 228) أبطل التعدد في هذه الأبيات بأسلوب لطيف تهكمي حيث إن المسيح عليه السلام كان يركب الحمار فاستفهم عن الإله الذي يركب الحمار أهو عيسى فإذا كان هو فهو عاجز، والعجز ليس من صفة الإله، ثم تهكم على أصحاب عقيدة التثليث فاستفهم عن راكبي الحمار أهم الآلهة الثلاثة فما أجل وأعظم هذا الحمار الذي يحمل الآلهة الثلاثة. وذكر في البيت (228) أن أصحاب عقيدة التثليث إذا قالوا أن الإله غير الثلاثة الراكبين على الحمار أُجيبوا فما نسبة عيسى إلى الإله.

(229–232) ناقش في هذه الأبيات الأربعة عقيدة التثليث عند النصارى مبطلاً لها بدليلين: الأول: إن أرادوا بالثلاثة الصفات الإلهية أُبطل هذا الاحتمال بأن الصفات أكثر من ذلك فلم هذه الثلاث دون غيرها؟ لأنه تحكم، الاحتمال الثاني: إن قالوا إن عيسى ابن الله وهو نبي كسائر الأنبياء فلهذا كان عليكم أن تصفوا كل الأنبياء بالبنوة لله – تعالى عن ذلك–. ثم أبطل ألوهية المسيح بأن النصارى يدّعون أن اليهود قتلوه والحال أنه يحيي الموتى فهلا أحيا نفسه وهذا على حسب زعمهم من عقيدة الصلب وإلا في الحقيقة أن الله رفعه إليه حياً وختاماً بما اتضح يكون قولهم بالتثليث قولاً هراءً أي قولا فاحشاً.

(233–243) انتقل في هذه الأبيات إلى الرد على اليهود في قولهم يلزم على نسخ ملة بملة البداء وهو (ظهور مصلحة بعد خفاء) مبيناً أن كلاً من مقالة النصارى ومقالة اليهود لزمته مقالة شنعاء، فاليهود الزاعمون أن النسخ يوجب البداء يرده ما أفاده العقل الرجيح وهو أن الأسباب الداعية للنسخ ترجع إلى مصالح العباد، كالطبيب يأمر بدواء في يوم، وبآخر في يوم آخر، هذه تقدمة نضيفها لما رد به البوصيري تبين حِكمة النسخ، ثم شرع البوصيري في الرد عليهم بإلزامهم أنهم إذا أنكروا النسخ يلزم على إنكارهم عجز الواحد القهار، ثم ألزم المنكرين للنسخ بأنهم لو كانوا عقلاء لحكموا بجواز النسخ مثل حكمهم بتجويز المسخ إذ لا فرق بينهما، ثم وضح هذا الرد بأن النسخ رفع تعلق حكم بحكم آخر والمسخ تبديل صورة مخلوقة بصورة أخرى وإنما التبديل في النسخ في الحكم، وفي المسخ في الخلق، ثم انتقل في الرد عليهم إلى أن النسخ هو انتهاء لحكم وهو المنسوخ وابتداء لآخر وهو الناسخ، وبالغ في هذا فأمر بسؤال اليهود عن المسخ أهو نسخ لآيات الله أم

مِثْـــلَ مَـــا قَالَـــتِ الْيَهُـــودُ وَكُـــلٌّ لَزِمَتْـــــهُ مَقَالَـــــةٌ شَـــنْعَاءُ(234)

إِذْ هُـــمُ اسْـــتَقْرَؤُا الْبَـــدَاءَ وَكَـــمْ سَـــا قَ وَبَـــــالاً إِلَـــيْهِمُ اسْـــتِقْرَاءُ(235)

وَأَرَاهُـــمْ لَمْ يَجْعَلُـــوا الْوَاحِـــدَ الْقَـــ هَّـــارَ فِي الْخَلْـــقِ فَـــاعِلاً مَـــا يَشَـــاءُ(236)

جَـــوَّزُوا النَّسْـــخَ مِثْـــلَ مَـــا جَـــوَّزُوا ـــخَ عَلَـــيْهِمْ لَـــوْ أَنَّهُـــمْ فُقَهَـــاءُ(237)

هُـــوَ إِلاَّ أَنْ يُرْفَـــعَ الْحُكْـــمُ بِالْحُـــ ـــكْمِ وَخَلْـــقٌ فِيـــهِ وَأَمْـــرٌ سَـــوَاءُ(238)

وَلِحُكْـــمٍ مِـــنَ الزَّمَـــانِ انْتِهَـــاءٌ وَلِحُكْـــمٍ مِـــنَ الزَّمَـــانِ ابْتِـــدَاءُ(239)

فَسَـــلُوهُمْ أَكَـــانَ فِي مَسْـــخِهِم نَسْـــ ـــخٌ لآيَـــاتِ اللهِ أَمْ إِنْشَـــاءُ(240)

وَبَـــدَاءٌ فِي قَـــوْلِهِمْ نَـــدِمَ اللّـــ ـــهُ عَلَـــى خَلْـــقِ آدَمٍ أَمْ خَطَـــاءُ(241)

أَمْ مَحَـــا اللهُ آيَـــةَ اللَّيْـــلِ ذُكْـــراً بَعْـــدَ سَـــهْوٍ لِيُوجَـــدَ الإِمْسَـــاءُ(242)

أَمْ بَـــدَا لِلإِلَـــهِ فِي ذَبْـــحِ إِسْـــحَا قَ وَقَـــدْ كَـــانَ الأَمْـــرُ فِيـــهِ مَضَـــاءُ(243)

أَوَ مَـــا حَـــرَّمَ الإِلَـــهُ نِكَـــاحَ الأُخْـــ ـــتِ بَعْـــدَ التَّحْلِيـــلِ فَهْـــوَ الزِّنَـــاءُ(244)

إنشاء، فإن اعترفوا بأنه نسخ فقد ثبتت الحجة عليهم، وإن قالوا أنه إنشاء فذلك مكابرة. ثم أمر بسؤال اليهود مبالغة في الرد عليهم عن قولهم (ندم الله على خلق آدم) أهو عن قصد منهم أو خطأ. فإن كان عن قصد فقولهم هذا البداء الذي من أجله أنكروا النسخ للملة اليهودية، وإن قالوا إن قولهم هذا هو خطأ منهم اعترفوا بالغباوة وأمر بسؤالهم عن أمر ثالث وهو محو آية الليل بالنهار أهو سهو عن قصد أم عن سهو، في كلتا الحالتين إلزام لهم بالقول بالنسخ، كما أمر بسؤال رابع ملزمٍ لهم بالقول بالنسخ وهو أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق ثم لما أضجعه نسخ حكم الذبح بتركه وفداه بذبح عظيم وإنما اقتصر الناظم على أن الذبيح هو إسحاق لأنه في مقام الرد على اليهود، وهذا هو معتقدهم، ومذهب أهل السنة أن الذبيح هو إسماعيل، ثم أمر بسؤال اليهود عن أمر خامس ملزم لهم بالإقرار بالنسخ هو أن نكاح الأخت كان حلالاً في زمن آدم ثم نسخ الله حكمه بالتحريم.

(244-257) لا سبيل إلى التكذيب بأن اليهود زائغون عن الحق وهم معشر لؤماء كما أنهم من زيغهم جحدوا نبوة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأقروا من آمن بالباطل على باطلهم حين سألتهم قريش المشركون أنحن خير ديناً من محمد؟ قالوا: نعم. ومن زيغهم وسفههم قتلهم الأنبياء كزكرياء ويحيى واتخاذهم العجل إلهاً، وقد صاغه لهم السامري من حلي القبط المستعارة. ومن خبثهم أنهم أحزنهم ما

اتصاف اليهود بأوصاف ذميمة وما ناهم من جراء خداعهم

لاَ تُكَــذِّبْ أَنَّ الْيَهُــودَ وَقَــدْ زَا ... غُــوا عَــنِ الْحَــقِّ مَعْشَــرٌ لُؤَمَــاءُ[245]

جَحَــدُوا الْمُصْــطَفَى وَآمَــنَ بالطَّــا ... غُــوتِ قَــوْمٌ هُــمْ عِنْــدَهُمْ شُــرَفَاءُ[246]

قَتَلُــوا الأَنْبِيَــاءَ وَاتَّخَــذُوا الْعِجْـــ ... ـــلَ أَلاَ إِنَّهُــمْ هُــمُ السُّــفَهَاءُ[247]

وَسَــفِيهٌ مَــنْ سَــاءَهُ الْمَــنُّ والسَّلْــ ... ـــوَى وَأَرْضَــاهُ الْفُــومُ والْقِثَّــاءُ[248]

مُلِئَــتْ بِالْخَبِيــثِ مِــنْهُمْ بُطُــونٌ ... فَهْــيَ نَــارٌ طِبَاقُهَــا الأَمْعَــاءُ[249]

لَــوْ أُرِيــدُوا فِي حَــالِ سَــبْتٍ بِخَــيْرٍ ... كَــانَ سَــبْتاً لَــدَيْهِمُ الأَرْبَعَــاءُ[250]

هْــوَ يَــوْمٌ مُبَــارَكٌ قِيــلَ لِلتَّصْــ ... ـــرِيــفِ فِيــهِ مِــنَ الْيَهُــودِ اعْتِــدَاءُ[251]

منحهم الله من المن، وهو نوع من الحلواء كان ينزل عليهم، والسلوى: وهو الطير السماني كان من أشهى الطيور لحماً، وسألوا الفوم وهو الثوم والقثاء وهو الخيار. ومن مخازيهم أن الحرام وأكل السحت والربا مُلئت به بطونهم، ولو أراد الله بهم خيراً لجعل السبت الذي هو بمعنى القطع محله الأربعاء الذي خلق النور فيه، ومع ذلك أن يوم السبت يوم مبارك لأن الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم. وذكر أن اليهود اعتدوا بالتصرف فيه بالبيع ونحوه فمسخ الكثير منهم قردة وخنازير. وبسبب ظلم اليهود بأخذ الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل، وكفرهم فأتتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم، وفي ترك الطيبات هلاك لهم، ثم ذكر ما نالهم من أجل انخداعهم وخداعهم، وخلاصة ما ذكره أن المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود فكانوا يدسون إليهم المكر والخديعة فتعنت أحبارهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرد شبه هؤلاء الأحبار القرآن الكريم وترتب على ذلك إجلاء بني النضير من الحجاز إلى الشام وهو ما عبر عنه الناظم بقوله: أسلموهم لأول الحشر...، والحشر الثاني في عهد عمر رضي الله عنه من خيبر وأشار إلى تحالف اليهود مع الأحزاب وهم طوائف العرب المتجمعة من أهل مكة ومن معهم الذين تجمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقصدوا المدينة فكانت غزوة الأحزاب، وحين اشتداد البأس نقض بنو قريظة عهدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما رجع المتحزبون من الكفار ورُفع الحصار عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة وحاصروهم إلى أن نزلوا على حكم سيدنا سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم.

فَــبِظُلْمٍ مِــنْهُمْ وَكُفْــرٍ عَــدَتْهُمْ طَيِّبَــاتٌ فِي تَــرْكِهِنَّ ابْـــتِلاءُ[252]

خُــدِعُوا بِالْمُنَــافِقِينَ وَهَــلْ يُنْـــ فَــقُ إِلاَّ عَلَــى السَّــفِيهِ الشَّــقَاءُ[253]

وَاطْمَــأَنُّوا بِقَــوْلِ الأَحْــزَابِ إِخْــوَا نِهِــمُ إِنَّنَــا لَكُــمْ أَوْلِيَــاءُ[254]

حَــالَفُوهُمْ وَخَــالَفُوهُمْ وَلَمْ أَدْ رِ لِمَــاذَا تَخَــالَفَ الْحُلَفَــاءُ[255]

أَسْــلَمُوهُمْ لأَوَّلِ الْحَشْــرِ لاَ مِيــ عَــادُهُمْ صَــادِقٌ وَلاَ الإِيــلاَءُ[256]

سَــكَنَ الرُّعْــبُ وَالْخَــرَابُ قُلُوبــاً وَبُيُوتــاً مِــنْهُمْ نَعَاهَــا الجَــلاَءُ[257]

وَبِيَــوْمِ الأَحْــزَابِ إِذْ زَاغَــتِ الأَبْـــ صَــارُ فِيــهِ وَضَــلَّتِ الآرَاءُ[258]

مجازاة المؤذين بالهلاك

وَتَعَــدَّوْا إِلَى النَّــبِيّ حُــدُوداً كَــانَ فِيهَــا عَلَــيْهِمُ الْعَــدْوَاءُ[259]

وَنَهَــتْهُمْ وَمَــا انْتَهَــتْ عَنْــهُ قَــوْمٌ فَأُبِيــدَ الأَمَّــارُ وَالنَّهَّــاءُ[260]

وَتَعَــاطَوْا فِي أَحْمَــدٍ مُنْكَــرَ الْقَــوْ لِ وَنُطْــقُ الأَرَاذِلِ الْعَــوْرَاءُ[261]

كُــلُّ رِجْــسٍ يَزِيــدُهُ الْخُلُــقُ السُّــو ءُ سِــفَاهاً وَالْمِلَّــةُ الْعَوْجَــاءُ[262]

فَــانْظُرُوا كَيْــفَ كَــانَ عَاقِبَــةُ الْقَــوْ مِ وَمَــا سَــاقَ لِلبَــذِيّ الْبَــذَاءُ[263]

---

(258) تعدى الكفار الحدود من اليهود وغيرهم بإذايتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فجوزوا بالهلاك وبعدهم عن النجاة.

(259) أي نهى أولئك المعتدين أقوام منهم ليكفوهم عن الإذاية فلم ينتهوا فهلك المار بالإذاية والنهاء عن إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(260) وتناول الكفار القول المنكر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: ساحر، وكاهن، ومجنون، ونطق الأراذل أي الأخسّاء الأسافل الفحش.

(261) أفاد أن كل قذارة يزيدها الخُلق السوء سفاهة، وكذلك الملة العوجاء التي هم عليها تزيدهم أيضاً سفاهة، فتضاعفت سفاهتهم.

(262- 263) أمر العقلاء بأن ينظروا ما هي عاقبة الإذاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث انقلب السب سُمّاً بإبدال الباء ميماً فأهلكهم السب كما يهلك السم.

وَجَـــدَ السَّـــبَّ فِيـــهِ سُمًّـــا وَلَمْ يَـــدْ رِ إِذِ الْمِـــيمُ فِي مَوَاضِـــعَ بَـــاءُ[264]

كَـــانَ مِـــنْ فِيـــهِ قَتْلُـــهُ بِيَدَيْـــهِ فَهْـــوَ فِي سُـــوءِ فِعْلِـــهِ الزَّبَّـــاءُ[265]

أَوْ هُـــوَ النَّحْـــلُ قَرْصُـــهَا يَجْلِـــبُ الْحَتْـــ ـــفَ إِلَيْهَـــا وَمَـــا لَـــهُ إِنْكَـــاءُ[266]

عاقبة قومه المناوين له

صَـــرَعَتْ قَوْمَـــهُ حَبَائِـــلُ بَغْـــيٍ مَـــدَّهَا الْمَكْـــرُ مِـــنْهُمْ وَالـــدَّهَاءُ[267]

فَـــأَتَتْهُمْ خَيْـــلٌ إِلَى الحَـــرْبِ تَخْـــ ـــتَالُ وَلِلْخَيْـــلِ فِي الْـــوَغَى خُـــيَلاءُ[268]

قَصَـــدَتْ فِـــيهِمُ الْقَنـــا فَقَـــوَافِي الطَّعْـــنِ مِنْهَـــا مَـــا شَـــانَهَا الإِيطَـــاءُ[269]

وَأَثَـــارَتْ بِـــأَرْضِ مَكَّـــةَ نَقْعـــاً ظُـــنَّ أَنَّ الغُـــدُوَّ مِنْهَـــا عِشَـــاءُ[270]

أَحْجَمَـــــتْ عِنْـــــدَهَا الْحُجُـــــونُ عِنْـــدَ إِعْطَائِـــهِ الْقَلِيـــلَ كُـــدَاءُ[271]

وَدَهَـــتْ أَوْجُهـــاً بِهَـــا وَبُيُوتـــاً مُـــلَّ مِنْهَـــا الإِكْفَـــاءُ وَالإِقْـــوَاءُ[272]

(264- 265) وتسبب الإيذاء أن البذيّ تسببت له بذاءة فمه في قتل نفسه بيديه فهو شبيه بالملكة الزباءِ التي أدركها عمرو فمصّت خاتماً فيه السم فقتلت نفسها بيدها وأتى بتشبيه آخر لعاقبة البذيّ اللسان فشبهه بالنحل التي لسعها يجلب لها حتفها أي موتها والحال أن لسعها ليست له نكاية.

(266) صرع قومه الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكرهم ولم يُجْدِهم مكرهم ولا دهاءهم الخبيث.

(267) فبسبب مكرهم أتتهم من قبله صلى الله عليه وآله وسلم خيل يَتَبَخْتَرُ بها شجعان المسلمين فعاد مكرهم وبالاً عليهم.

(268) المعنى قوي طعن القنا – وهي الرماح– في أبدانهم تكراراً وإعادةً.

(269) أثارت خيل المسلمين التي قصدت مكة نقعاً أي غباراً حتى أظلم الجوُّ وهذا إشارة إلى غزوة فتح مكة ووقعت في رمضان سنة 8

(270) أشار في هذا البيت إلى دخول جيش الفتح مكة حيث كان من جهتين الأولى جهة الحجون – وهو الجبل المطل على مقبرة مكة وهي المعلاة– ومنها دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المهاجرون والأنصار، والجهة الثانية من كُدًا – بضم الكاف– من أسفل مكة، حيث أمر خالد بن الوليد أن يدخل من هناك، ومعنى أحجمت الحجون: أن أهلها كفوا عن القتال، وأما كُدَا فإن أهلها قاتلوا قليلاً وإلى ذلك أشار قوله: " وأكدى: عند إعطائه القليل كداء" ومعنى: أكدى: قطع.

(271) أي أصابت خيل الفتح أوجهاً من الناس قاتلت، وبيوتاً فرَّ أهلها منها.

(272- 274) لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة دعته قريش وهو احلم البرية وجواب الحليم الإغضاء وهو الإعراض عن العقوبة، وناشدوه بالقربى أي أن يصل القرابة التي بينه وبينهم وهي من قريش وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وآله

عفوه وجمال أفعاله

فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ والْعَفْـ ... ـوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالإِغْضَاءُ[273]

نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى التِي مِنْ قُرَيْشٍ ... قَطَعَتْهَا التِّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ[274]

فَعَفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يُنَغِّصْـ ... ـهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ[275]

وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلـ ... ـهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالإِقْصَاءُ[276]

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ ... مِنْ سِوَاهُ الْمَلاَمُ وَالإِطْرَاءُ[277]

وَلَوْ أَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْـ ... ـسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ[278]

قَامَ لِلَّهِ فِي الأُمُورِ فَأَرْضَى ... اللَّهَ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ[279]

فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْـ ... ـضَحُ إِلاَّ بِمَا حَوَاهُ الإِنَاءُ[280]

وسلم، وتلك القرابة التي قطعتها الترات – أي عدم إدراك الثأر– والشحناء: أي التباغض والتحاسد، وبسبب تلك المناشدة والسؤال بالقرابة عفا عنهم عفو قادر، ولم يُكَدِّر عفوه ما مضى منهم من مبالغة في الإيذاء.

(275-276) أفاد أنه إذا كان القطع والوصل لله أن يتساوى عنده تقريب الأقارب والأباعد وإقصاء الأقارب والأباعد ويتساوى عنده اللوم والمدح.

(278-281) أبانت جملة هذه الأبيات ما اتصف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن أفعاله ليست معللة بهوى النفس وإنما هي كلها لله تعالى ولذلك لما ناشدته قريش القربى عفا عنها، ولو كانت أفعاله لهوى النفس لانتقم منهم أشد انتقام ولقطعهم وجفاهم ولهذا كانت أفعاله كلها جميلة ولسمو نفسه الكريمة لا يصدر عنه إلا ما يرضي كما أن الإناء المليء طيباً لا ينضح أي لا يرشح إلا بما هو طيب، ولجمال أفعاله كانت إذا سمع بها السامعون طربوا لها فضلاً عن الذين نالتهم ثم أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه أُمياً – والأُمي نسبة إلى الأم وهو من لا يكتب ولا يقرأ– أتى بما أعجز البشر كلهم وملك عليهم عقولهم، فهو اعرف العارفين وأحكم الحكماء النابغين، ولذلك أخذ عنه ما جاء به الرواة والحكماء.

أَطْـــرَبَ السَّــــامِعِينَ ذِكْـــرُ عُـــلاَهُ يَـــا لَـــرَاحٍ مَالَـــتْ بِـــهِ النُّـــدَمَاءُ[281]

النَّـــبِيُّ الأُمِّـــيُّ أَعْلَـــمُ مُـــنْ أَسْــــــنَدَ عَنْـــهُ الـــرُّوَاةُ وَالْحُكَمَـــاءُ[282]

(282-296) أفاد في الأبيات الرحلة إلى مكة فأفاد أولاً المنازل التي يمر بها الركب من مصر إلى مكة. وأفاد في البيت الأول أن الوجناء وهي الناقة القوية وعدته زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التي تمت فيها الزيارة ووفت بوعدها، ثم استفهم قائلاً: أيليق بي ترك الزيارة؟ فلا انضم إلى النقاة بركوبها لتطوى الفلوات بينه وبين المثوى الكريم - أي قبره صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الطيّ بألوف البطحاء- أي بهذه الناقة التي ألفت بطحاء مكة، ولإيلاف هذه الناقة مكة صارت يزعجها النيل، والحال أنها قد شَفَّ جوفها الإظماء وهو العطش، وهي من حبها لمكة أنكرت مصر ونفرت مما يلوح لعينيها من بناء أو فضاء، ثم شرع في ذكر المنازل مستهلاً بأن البركة أقضت مضاجعها وهذا ما اختاره الشيخ الإمام النبهاني أي خشنت مضاجعها والذي عليه كل الشراح:فأفضت بركتها أي سالت

(1) والبركة أول محل يلي طريق الحجاز تجتمع فيه الحجاج للتأهب للسفر.

(2) والبويب - بالتصغير- موضع بعد البركة.

(3) الخضراء: قرية بالمحَل المسمى بعجرود وبجانب القرية بِركة ماء تُملأ من بئر.

(4) القباب التي تلي المنازل السابقة أي وادي القباب.

(5) بئر النخل موضع فيه بِركة ماء تملأ من بئر وماؤها أحسن من الذي قبلها، ولهذا قال: "والركب قائلون رِواء" وقائلون: أي مستريحون وقت القيلولة.

(6) ومن المنازل: أيْلة أي عقبة أيلة وهي عقبة صعبة الهبوط والصعود وبندرها حصن حصين في قرية على شاطئ البحر، وقد ذكر المفسرون: أن القرية التي كانت حاضرة البحر هي: أيلة.

(7) حِقْل: بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامة: دَوَّار حِقْن.

(8) قُرٌّ: بضم القاف والراء المشددة - قال ابن حجر الهيتمي شارح الهمزية: ليس هذا الاسم مشهوراً عند الناس اليوم، وابن حجر من رجال القرن العاشر توفي سنة (974هـ) وأراد البوصيري بقوله: "خلفها" أي الناقة.

(9) المغارة الفيحاء، أي الواسعة كأنه أراد بها المحَل المعروف الآن أي في زمن الشيخ سليمان الجمل شارح الهمزية (1204هـ) بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبي عليه الصلاة والسلام.

(10) عيون الأقصاب: سمي هذا المنزل بذلك لكثرة ما فيه من القصب.

(11) النَّبْك: بفتح النون وسكون الموحدة، وهذا المنزل قال ابن حجر الهيتمي ليس بمشهور، وقال سليمان الجمل: ولعله أراد به المكان المسمى بنبط.

(12) الكفافة: وصفها الناظم بالعوجاء أي أنها منحرفة عن جادة الطريق وقال الجمل: تعرف في عصره بسلمى وكفافة.

(13) الحوراء: حفائر على ساحل البحر، ونسب الناظم إلى الحوراء محادثة الناقة، وكذلك ينبوع الآتي ونسب لهما الرقة أي الاشتياق.

(14) ينبوع: قال الجمل: هو الآن - أي في عصره- يعرف بينبع كينصر. وينبع هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الإياب.

(15) الدهنوان: هو الآن محل واحد يسمى بالدهناء، وهي موضع أمام ينبع.

(16) بدر: وقال الناظم: (لاح بالدهنوين بدر لها) أي ظهر فيها بدر، وهي قرية عامرة كبيرة، ومحل الواقعة المشهورة بهذا المكان التي أعز

وَعَـــدَتْنِي ازْدِيَــارَهُ الْعَــامَ وَجْنَــا ءُ وَمَنَّـــتْ بِوَعْـــدِهَا الْوَجْنَـــاءُ[283]

أَفَـــلاَ أَنْطَـــوِي لَهَـــا فِي اقْتِضَائِـــ ـــهِ لِتُطْـــوَى مَـــا بَيْنَنَـــا الأَفْـــلاَءُ[284]

بِـــأُلُوفِ الْبَطْحَـــاءِ يُجْفِلُهَـــا النِّيـــ ـــلُ وَقَـــدْ شَـــفَّ جَوْفَهَـــا الإِضْـــمَاءُ[285]

أَنْكَـــرَتْ مِصْـــرَ فَهْـــيَ تَنْفِـــرُ مَـــا لاَ حَ بِنَـــــاءٌ لِعَيْنِهَـــــا أَوْ خَـــــلاَءُ[286]

الله بها الإسلام.

(17) وحنين جبل صغير قريب من بدر، وحنين هذه غير حنين التي بين مكة والطائف المذكورة في الآية.

(18) الصفراء: قرية معروفة.

(19) بزوة: مكان يسمى بقاع البزوي عند الحاج.

(20) رابغ: هو وادٍ بين الحرمين الشريفين مكة والمدينة قرب البحر.

(21) الجحفة: محل بعد رابغ، وقول الناظم (ونَضَتْ بَزوةُ – البيت) أي أن هذه الأماكن: بزوة ورابغ والجحفة خلعت عن الناقة الإعياء لفرحها بقرب الوصول.

(22) بئر علي: قال الجمل: هو المشهور الآن ببئر التفلة.

(23) عقاب السَّويق:قال ابن حجر قريب من المكان المتقدم.

(24) الخلصاء: قال ابن حجر: اشتهر في عصره بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة، والأماكن الثلاثة الأخيرة أرت الناقة الخلاص لأنها قريبة من مكة.

(25) بئر عسفان: بضم العين كعثمان على مرحلتين من مكة.

(26) بطن مَرٍّ: ويسمى: مرّ الظهران قريب من مكة.

(27) الزّاهر: مكان مشهور قبيل ذي طوى في داخل الحرم.

(28) المساجد: المحل المعروف بمساجد عائشة. ختم ذكره للمنازل التي بين مصر ومكة بقوله:

هذه عدة المنازل لاما عُدَّ فيه السماك والعَوَّاءُ

أي هذه المنازل بين مصر ومكة هي المنازل التي عليها المعول لا منازل القمر، وكل من هذه المنازل ثمانية وعشرون، ومن منازل القمر: السماك الأعزل، والعواء.

فَأَقَضَّتْ عَلَى مُبَارِكِهَا بِرْ   كَتُهَا فَالْبُوَيْبُ فَالْخَضْرَاءُ[287]

فَالْقِبَابُ التِي تَلِيهَا فَبِئْرُ   النَّخْلِ وَالرَّكْبُ قَائِلُونَ رِوَاءُ[288]

وَغَدَتْ أَيْلَةٌ وَحِقْلٌ وَقُرٌّ   خَلْفَهَا فَالْمَغَارَةُ الْفَيْحَاءُ[289]

فَعُيُونُ الأَقْصَابِ يَتْبَعُهَا النَّبْـ   ـكُ وَتَتْلُو كَفَافَةَ الْعَوْجَاءُ[290]

حَاوَرَتْهَا الْحَوْرَاءُ شَوْقاً فَيُنْبُو   عٌ فَرَقَّ الْيُنْبُوعُ وَالْحَوْرَاءُ[291]

لاَحَ بِالدَّهْنَوَيْنِ بَدْرٌ لَهَا بَعْـ   ـدَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاءُ[292]

وَنَضَتْ بَزْوَةٌ فَرَابِغُ فَالْجُحْـ   ـفَةُ عَنْهَا مَا حَاكَهُ الإِنْضَاءُ[293]

وَأَرَتْهَا الْخَلاَصَ بِئْرُ عَلُيٍّ   فَعُقَابُ السُّوَيْقِ فَالْخُلَصَاءُ[294]

فَهْيَ مِنْ مَاءِ بِئْرِ عُسْفَانَ أَوْ مِنْ   بَطْنِ مَرٍّ ظَمْآنَةٌ خَمْصَاءُ[295]

قَرَّبَ الزَّاهِرُ الْمَسَاجِدَ مِنْهَا   بِخُطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ[296]

هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لاَ مَا   عُدَّ فِيهِ السِّمَاكُ وَالْعَوَّاءُ[297]

(297-302) شبه في البيت الأول ناقته التي ركبها في مكة وانتقلت به إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى بالشمس لرفعة مقصدها، وشبه البيداء التي تسير فيها بالسماء.

وأرحل في هذا البيت يصح بناؤه للفاعل كما يصح بناؤه للنائب، ولما ذكر مكة في البيت الأول، ذكر في البيت الثاني أن مكة موضع للبيت أي الكعبة، ومهبط الوحي ومأوى الرسل فهناك الأنوار وهناك البهاء، ثم ذكر أفعال الحجّ من الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار، والإهداء: وهو سوق الهدي إلى مكة وذبحه بها. ثم قال: (حبذا حبذا معاهد البيت) أي هذه المعاهد حبيبة إليَّ ولم يغيرها البلاء أي القدم، وذكر أيضاً من الأشياء التي شرف الله بها مكة أنها حرم آمن، وهي محترمة بحرمة الله من يوم خلق السموات والأرض كما في الحديث الصحيح وقد ضبطت كتب المناسك حدود الحرم وأنّ بها البيت الحرام الكعبة، وأنّ بها المقام بفتح الميم وهو الحجر الذي أُنزل لإبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة وفيه أثر قدميه ثم ذكر أن المقام بضم الميم في الحرم تلاء أي ذمة وجوار. وذكر أنه أدى المناسك بها، والمناسك جمع منسك من النسك وهي العبادة أي متعبدات الحج والعمرة وهذه المناسك هي التي لا يحمد القضاء أي الداء إلا في فعلها.

التنقل بين مكة وبقية المشاعر

فَكَأَنِّي بِهَا أُرَحِّلُ مِنْ مَـ ... ـكَّةَ شَمْساً سَمَاؤُهَا الْبَيْدَاءُ[298]

مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ ... الرُّسْلِ حَيْثُ الأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ[299]

حَيْثُ فَرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيُ ... والْحَلْقُ وَرَمْيُ الْجِمَارِ وَالإِهْدَاءُ[300]

حَبَّذَا حَبَّذَا مَعَاهِدُ مِنْهَا ... لَمْ يُغَيِّرْ آيَاتِهِنَّ الْبَلاَءُ[301]

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ ... وَمَقَامٌ فِيهِ الْمُقَامُ تَلاَءُ[302]

فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لاَ يُحْـ ... ـمَدُ إِلاَّ فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ[303]

السَّيْرُ للزيارة المشرفة

وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْـ ... ـبَةَ وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ[304]

فَأَصَبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْ ... بِ وَنِعْمَ الْخَبِيئَةُ الْكَوْمَاءُ[305]

فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيبِ يَغُضُّ ... الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ والـلأْلاَءُ[306]

(303-312) انتقل إلى وصف رحلته إلى طيبة وهي المدينة المنورة، فذكر أنه رمى بناقته التي ألفت البطحاء الفجاج وهي جمع فج وهو الطريق الواسعة يقصد طيبة والسير بالمطايا يشبه سير السهم إذا رمى به. وأنه أصاب غرضه من القرب من المدينة المشرفة بسبب ركوبه تلك الناقة، ورأى أرض الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم يغض الطرف أي يخفضه نورها المشرق. وشبه البيداء بين مكة والمدينة بالروضة الغناء حيثما قابلت العين، كما شبه الأماكن التي حول المدينة المنورة لما تغشاها الأنوار المشعة من قبره عليه الصلاة والسلام بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزرارها. وأفاد أنه كما لاحت فيها الأنوار فاح طيبها فكأن ريح الجنوب والشمال ينشران المسك في أرجائها. فإذا ما نظرت رباها أو شممتها لاح منها البرق النوراني وفاح كباء –بكسر الكاف– أي ريح البخور. وحين وصل إلى قباء –بضم القاف– شاهد الزائرون نوراً باهراً وأزهاراً نضيرة حين رأوا القباب التي هناك، واعترته حين قرب من المدينة حال ثبت فيها دمعه فهو سيل، وفر اصطباره فهو كالجفاء أي الزَبد وبسبب ما يعتري من الحال يرى المخاطب السائرين جادين في السير لشدة الشوق إلى المدينة المنورة فكيف بالشوق إليه صلى الله عليه وآله وسلم وللزائرين حين القرب ارتفاع الأصوات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فَكَـأَنَّ الْبَيْـدَاءَ مِـنْ حَيْـثُ مَـا قَـا بَلَـتِ الْعَـيْنُ رَوْضَـةٌ غَنَّـاءُ[307]

وَكَـأَنَّ الْبِقَـاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَـا طَرَفَيْهَـا مُـلاَءَةٌ حَمْـرَاءُ[308]

وَكَـأَنَّ الأَرْجَـاءَ تَنْشُـرُ نَشْـرَ الْـ ـمِسْكِ فِيهَـا الْجَنُـوبُ وَالْجِرْبِيَـاءُ[309]

فَـإِذَا شِمْـتَ أَوْ شَمِمْـتَ رُبَاهَـا لاَحَ مِنْهَـا بَـرْقٌ وَفَـاحَ كِبَـاءُ[310]

أَيُّ نُـورٍ وَأَيَّ نَـوْرٍ شَـهِدْنَا يَـوْمَ أَبْـدَتْ لَنَـا الْقِبَـابَ قُبَـاءُ[311]

قَـرَّ مِنْهَـا دَمْعِـي وَفَـرَّ اصْـطِبَارِي فَـدُمُوعِي سَـيْلٌ وَصَـبْرِي جُفَـاءُ[312]

فَتَـرَى الرَّكْـبَ طَـائِرِينَ مِـنَ الشَّـوْ قِ إِلَى طَيْبَـةٍ لَهُـمْ ضَوْضَـاءُ[313]

ما يعتري القادمين من عظيم المهابة

فَكَـأَنَّ الـزُّوَّارَ مَـا مَسَّـتِ الْبَـأْ سَـاءُ مِـنْهُمْ خَلْقـاً وَلاَ الضَّـرَّاءُ[314]

كُـلُّ نَفْـسٍ مِنْهَـا ابْتِهَـالٌ وَسُـؤْلٌ وَدُعَـاءٌ وَرَغْبَـةٌ وَابْتِغَـاءُ[315]

(313-319) كما يرى المخاطب أن الزائرين للمدينة المنورة رغم شدة السفر كأنهم ما مستهم البأساء ولا الضراء. وأتى بعد ذلك بوصف ما يعتري القادمين عليه من عظيم المهابة التي تستولي على القلوب.

فلنفوس القادمين عليه صلى الله عليه وآله وسلم ابتهال أي تضرع إلى الله تعالى، وتوسل بأحب الخلق إلى الله تعالى ودعاء ورغبة وابتغاء لجزيل الثواب، ولتلك النفوس زفير من شدة الخشية وعظيم المهابة ولشدة ذلك الزفير كأنه زقاء، ومن شدة الشوق أسبلت العُيون الدموع الغزيرة لهيبة المثول بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، ومدّ البكاءَ سيل من الدموع وحث النحيب وهو رفع الصوت بالبكاء استعلاء. وللجلالة التي استولت على القلوب أصبحت جُسوم القادمين من كثرة الرُّحَضَاءِ، وهو العرق أثر الحُمى –كأنه غسلها، ولعظمة الموقف تغيرت الوجوه حياء كأنما ألبستها الحرباء ألوانها ولجلال الموقف تهاطلت الدموع بسبب الأسباب الباعثة على البكاء، وقد شبه هذه الأسباب بالسحابة الدائمة السح.

وَزَفِيرٌ تَظُنُّ مِنْهُ صُدُوراً صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ زُقَاءُ[316]

وَبُكَاءٌ يُغْرِيهِ بِالْعَيْنِ مَدٌّ وَنَحِيبٌ يَحُثُّهُ اسْتِعْلاَءُ[317]

وَجُسُومٌ كَأَنَّمَا رَحَضَتْهَا مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرُّحَضَاءُ[318]

وَوُجُوهٌ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهَا مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحِرْبَاءُ[319]

وَدُمُوعٌ كَأَنَّمَا أَرْسَلَتْهَا مِنْ جُفُونٍ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ[320]

المواجهة الشريفة

فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ حَيْثُ يُحَطُّ الْوِزْرُ عَنَّا وَتُرْفَعُ الْحَوْجَاءُ[321]

وَقَرَأْنَا السَّلاَمَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللّهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الإِقْرَاءُ[322]

وَذَهِلْنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَمْ أَذْ هَلَ صَبّاً مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ[323]

وَوَجَمْنَا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى لاَ كَلاَمٌ مِنَّا وَلاَ إِيمَاءُ[324]

(320-325) ذكر في هذه الأبيات وقوفه في المواجهة الشريفة فابتدأ بأنه حطّ رحله في المدينة المنورة حيث يحطّ القاصد ذنوبه ويرفع سائلاً حاجته ثم وصف موقفه في المواجهة النبوية بأنه أقرأ السّلام أكرم الخليقة صلى الله عليه وآله وسلم حيث إن إقراء السّلام عند قبره يُسمع كما جاء في الحديث: "ما من أحد يسلم عند قبري إلا رد الله تعالى علي روحي حتى أرد عليه السلام" (روى هذا الحديث أبو داود= في جامعه والسيوطي في الجامع الصغير، وذكر الحفني في حواشيه على الجامع أن رده عليه الصلاة والسلام إذا كان المسلم بالقرب لأن الحديث في الجامع ليس فيه عند قبري، بل لفظه: ما من أحد يسلم عليَّ.)، ولما استولت عليه سبحات الجلال ذهل عند وقوفه في المواجهة الشريفة، وهذا شأن الصب عند لقاء الحبيب.

وكما ذهل كذلك وجم أي سكت من أجل المهابة فلا كلام ولا إشارة. ثم لما عزم على القفول من الزّيارة كان لقلبه التفات إلى المدينة، ولجسمه انعطاف إليها.

وختم وصفه لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سمح لنفسه بفراق ما يحب من الوقوف في المواجهة الشريفة وإن كانت نفسه بخيلة بها لكن قد يسمح البخيل عند الضرورة، والضرورة الداعية إلى الرجوع القيام بالشؤون الملقاة على الإنسان.

وَرَجَعْنَـــــا وَلِلْقُلُـــــوبِ الْتِفَاتَـــــا تٌ إِلَيْـــــهِ وَلِلْجُسُـــــومِ انْثِنَـــــاءُ[325]

وَسَمَحْنَـــا بِمَـــا نُحِـــبُّ وَقَـــدْ يَسْـــ ـــمَحُ عِنْـــدَ الضَّـــرُورَةِ الْـــبُخَلاَءُ[326]

استعطافه صلى الله عليه وآله وسلم

يَـا أَبَـا الْقَاسِـمِ الـذِي ضِـمْنُ إِقْسَـا	مِـــي عَلَيْـــهِ مَـــدْحٌ لَـــهُ وَثَنَـــاءُ[327]
بِـــالْعُلُومِ الـــتِي عَلَيْـــكُ مِـــنَ اللـــ	ـــهِ بِـــلاَ كَاتِـــبٍ لَهَـــا إِمْـــلاَءُ[328]
وَمَسِـــيرِ الصَّـــبَا بِنَصْـــرِكَ شَـــهْراً	فَكَـــأَنَّ الصَّـــبَا لَـــدَيْكَ رُخَـــاءُ[329]
وَعَلِـــيٍّ لَمَّـــا تَفَلْـــتَ بِعَيْنَيْـــ	ـــهِ وَكِلْتَاهُمَـــا مَعـــاً رَمْـــدَاءُ[330]
فَغَـــدَا نَـــاظِراً بِعَيْـــنَيْ عُقَـــابٍ	فِي غَـــزَاةٍ لَهَـــا الْعُقَـــابُ لِـــوَاءُ[331]

(326–330) لما تم مقصد الزيارة المشرفة شرع في مقصد آخر وهو التضرع والابتهال إلى الله تعالى والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبدا ذلك بمناداته عليه الصلاة والسلام بكنيته وهو: أبو القاسم ذاكراً إن اقساماته الآتية بعد بيت ندائه ضمنها مدحه والثناء عليه، وجواب الاقسام سيأتي بعد خمسة وخمسين بيتاً وهو قوله (380– الأمان الأمان إن فؤادي..البيت).

واستعطاف الناظم ليفوز في الدنيا والآخرة وليأمن من المحن.أقسم أولاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم الذي من إملاء جبريل أي بالوحي حال أن هذه العلوم بلا كاتب وإقسامه لأجل الأمان له.وأقسم ثانياً بمسير الصّبا بنصره صلى الله عليه وآله وسلم والصبا هي الريح التي مهبها من مطلع الشمس ونصر بها صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق، وأقسم ثالثاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة التي وقعت على عليّ فإنه لما كان الرمد بعينيه تفل فيهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعادتا صحيحتين وأصبح نظره كنظر العقاب وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الراية التي تسمى العقاب في غزوة خيبر وهي سنة سبع من الهجرة.

وَبرَيْحَـــــانَتَيْنِ طِيبُهُمَـــــا مِنْـــــــ ـــــكَ الـــذِي أُودِعَتْهُمَـــا الزَّهْـــرَاءُ[332]

كُنْـــتَ تُؤْوِيهِمَــــا إِلَيْـــكَ كَمَـــا آ وَتْ مِـــنَ الْخَـــطِّ نُقْطَتَيْهَـــا الْيَـــاءُ[333]

مِـــنْ شَـــهِيدَيْنِ لَـــيْسَ يُنْسِـــينِيَ الـــطَّ ـــــفُّ مُصَـــــابَيْهِمَا وَلاَ كَـــرْبَلاَءُ[334]

(331-345) إقسامه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً بالحسن والحسين، وعبر عنهما بالريحانتين اقتباساً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "هما ريحانتاي من الدنيا" رواه البخاري، وهاتان الريحانتان طيبهما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أودع في فاطمة الزهراء وأفاد بعد ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يضمها لمحبته إياهما كما تضم الياء نقطتيهما.

بين أنّ الريحانتين شهيدان ليس ينسيه في مصابهما الطَّفُّ ولا كربلاء وهما موضعان بالعراق، وقيل موضع واحد، وشهادة الحسن رضي الله عنه أنه مات مسموماً سنة خمسين سمه يزيد بإغراء امرأة الحسن على سمه، وأما شهادة الحسين رضي الله عنه فكانت سنة إحدى وستين يوم الجمعة عاشر المحرم قتله الجيش الذي أرسله يزيد ابن معاوية، وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة.

لم يراع في الريحانتين الحسن والحسين رضي الله عنهما حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرؤوسون ولا الرؤساء وخانوا العهد.

ذكر أن المكرة بالشهيدين أبدلوا الحمية في نصر القربى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي قرابته بالبغض وعدم النصرة وخالفوا قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" (الشورى: آية23)، وشبه المكرة بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باليرابيع في المكر، والنافقاء: إحدى حجرتي اليربوع التي يخفيها وذكر أن قلوب هؤلاء المكرة قست على قرابته صلى الله عليه وآله وسلم الذي بكت الأرض والسماء فقدهم.

وأمر الناظم المخاطب أن يبكي على الحسنين الشهيدين، والبكاء قليل في عظيم المصاب.

ذكر الناظم أنه ازداد كربه حتى أنه كلما مر بمكان تصور أنه الأرض التي قتل بها الحسين رضي الله عنه، وكذلك كل يوم أصبح فيه تصور أنه عاشوراء التي قتل في يومها الحسين.

نادي أهل بيت النبي وهم قرابته من النسب وأمهات المؤمنين مخبراً بأن فؤاده ليس ينسيه مصابهم حصول الشدائد. واستثنى حين حديثه على المصاب الحال بآل البيت أنه يفوض أمره إلى الله تعالى في هذه المصيبة، وتفويض الأمور إلى الله براءة من الشرك.

ويخفف المصاب النازل بسبب مقتل الحسين ما وقع من خلفاء بني العباس بخروجهم على بني أمية فنزعوا الخلافة منهم، والزوراء: ناحية ببغداد وشبه بعد ذلك ما نال الأعادي من القتل بالسيوف والرماح، وشبه أولئك القتلى الذين سالت دماؤهم بالزق الذي حل وكاؤه، والوكاء ما يشد به رأس الزق.

وخاطب آل البيت بأنهم طابوا أصولاً ونفوساً وأفعالاً وأقوالاً وصفات فطاب مدحهم، وطاب رثاؤهم، وهو تعداد المحاسن بعد الموت.

وشبه الناظم نفسه بسيدنا حسان رضي الله عنه حين يمدح آل البيت وشبه نفسه بالخنساء حين يرثيهم وينوح عليهم، وسيدنا حسان هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي(54هـ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينافح عنه أي يدافع.

وأما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد يعدها بعضهم من الصحابيات كانت من أشعر الناس وتوفيت سنة (24هـ).

وختم توجهه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فيهم: بأنهم سادوا الناس بالتقى بعد النسب الطاهر، وأما غيرهم ممن لم يعملوا بعملهم من التقوى فإنما سودتهم البيضاء أي الفضة والصفراء أي الذهب.

مَـــا رَعَـــى فِيهِمَـــا ذِمَامَـــكَ مَـــرْءُو ... سٌ وَقَـــدْ خَـــانَ عَهْـــدَكَ الرُّؤَسَـــاءُ[335]

أَبْـــدَلُوا الْـــوِدَّ وَالْحَفِيظَـــةَ فِي القُـــرْ ... بَى وَأَبْـــدَتْ ضِـــبَابَهَا النَّافِقَـــاءُ[336]

وَقَسَـــتْ مِـــنْهُمُ قُلُـــوبٌ عَلَـــى مَـــنْ ... بَكَـــتِ الأَرْضُ فَقْـــدَهُمْ وَالسَّـــمَاءُ[337]

فَـــابْكِهِمْ مَـــا اسْـــتَطَعْتَ إِنَّ قَلِـــيلاً ... فِي عَظِـــيمٍ مِـــنَ الْمُصَـــابُ الْبُكَـــاءُ[338]

كُـــلَّ يَـــوْمٍ وَكُـــلُّ أَرْضٍ لِكَـــرْبِي ... مِـــنْهُمُ كَـــرْبَلاَ وَعَاشُـــورَاءُ[339]

آلَ بَيْـــتِ النَّـــبِيِّ إِنَّ فُـــؤَادِي ... لَـــيْسَ يُسْـــلِيهِ عَـــنْكُمُ التَّأْسَـــاءُ[340]

غَيْـــرَ أَنِّي فَوَّضْـــتُ أَمْـــرِي إِلَى اللـــ ... ـــهِ وَتَفْوِيضِـــيَ الأُمُـــورَ بَـــرَاءُ[341]

رُبَّ يَـــوْمٍ بِكَـــرْبَلاَءَ مُسِـــيءٍ ... خَفَّفَـــتْ بَعْـــضَ وِزْرِهِ الـــزَّوْرَاءُ[342]

وَالأَعَـــادِي كَـــأَنَّ كُـــلَّ طَـــرِيحٍ ... مِـــنْهُمُ الـــزِّقُّ حُـــلَّ عَنْـــهُ الْوِكَـــاءُ[343]

آلَ بَيْـــتِ النَّـــبِيِّ طِبْـــتُمْ فَطَـــابَ الْـــ ... ـــمَدْحُ لِي فِـــيكُمُ وَطَـــابَ الرِّثَـــاءُ[344]

أَنَـــا حَسَّـــانُ مَـــدْحِكُمْ فَـــإِذَا نُحْـــ ... ـــتُ عَلَـــيْكُمْ فَـــإِنَّنِي الْخَنْسَـــاءُ[345]

سُـــدْتُمُ النَّـــاسَ بِـــالتُّقَى وَسِـــوَاكُمْ ... سَـــوَّدَتْهُ الْبَيْضَـــاءُ والصَّـــفْرَاءُ[346]

الإقسام بالصحابة الكرام

وَبِأَصْــحَابِكَ الــذِينَ هُــمْ بَعْــ دَكَ فِينَــا الهُــدَاةُ وَالأَوْصِــيَاءُ[347]

أَحْسَــنُوا بَعْــدَكَ الْخِلاَفَــةَ فِي الدِّيــ ـنِ وَكُــلٌ لِمَــا تَــوَلَّى إِزَاءُ[348]

أَغْنِيَــاءٌ نَزَاهَــةً فُقَــرَاءُ عُلَمَــاءٌ أَيِمَّــةٌ أُمَــرَاءُ[349]

زَهِــدُوا فِي الــدُّنَا فَمَـا عُـرِفَ الْميْــ ـلُ إِلَيْهَــا مِــنْهُمْ وَلاَ الرَّغْبَــاءُ[350]

أَرْخَصُــوا فِي الْــوَغَى نُفُــوسَ مُلُــوكٍ حَارَبُوهَــا أَسْــلاَبُهَا إِغْــلاَءُ[351]

(346–354) أقسم بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم بعده هداة في الناس وأوصياء بأمور الدين، فجاهدوا وساسوا الآمة ونشروا العلوم وأحسنوا بعده الخلافة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية، ثم تبعهم التابعون، وكل إزاء لما تولى أي قائم بما تولاه ثم وصف الصحابة بأنهم أغنياء ذوو نزاهة، فقراء إلى الله تعالى بظواهرهم وبواطنهم، علماء بما ورثوهم من علومه صلى الله عليه وآله وسلم، أيمة وأمراء قائمون بحقوق الإمارة ثم وصف الصحابة الكرام بأنهم زهدوا في الدنيا ما لها وجاهها فما عُرف منهم ميل إلى الدنيا ولا رغبة فيها.

ثم وصف الصحابة بأنهم في الوغى، أي الحرب أرخصوا نفوس ملوك حاربوهم أي فكيف بغيرهم، وأسلاب هؤلاء الملوك غالية السعر.

وانتقل إلى وصف علمهم الجم بأنهم كلهم في أحكامهم ذوو اجتهاد تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، وكلهم مصيبون أكفاء أي في أصل الصحبة، وإن كان هناك تفاوت في الزيادة لأن أفضل الناس بعد الأنبياء: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وإلى ذلك أشار اللقاني بقوله:

وخيرهم من ولي الخلافة وأمرهم في الفضل كالخلافة

يليهم قوم كرام بررة عدتهم ست تمام العشرة

فأهل بدر العظيم الشأن فأهل أحد فبيعة الرضوان

والصحابة رضوان الله عليهم رضي الله عنهم أي أمنهم من سخطه وأحلهم دار كرامته، ورضوا عنه: أي لم تختلج في نفوسهم حزازة من قضاء الله تعالى فكيف يصل إليهم الخطأ.

وقوله (وجاء قومٌ من بعد قومٍ) البيت: أي أن الصحابة في إسلامهم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال كونهم قوماً بعد قوم والسابقون السابقون أولئك المقربون فالداخلون في الإسلام في ازدياد لا في نقصان وذلك من علامات النبوة وكلهم سائرون على المنهج السوي وجاءوا عليه.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلوا أصحاب موسى وهم النقباء كما فضلوا أصحاب عيسى وهم الحواريون.

كُلُّهُـــمْ فِي أَحْكَامِـــهِ ذُو اجْتِهَـــادٍ وَصَـــوَابٍ وَكُلُّهُـــمْ أَكْفَـــاءُ[352]

رَضِـــيَ اللهُ عَـــنْهُمُ وَرَضُـــوا عَنْــــ ـــهُ فَـــأَنَّى يَخْطُـــو إِلَـــيْهِمْ خَطَـــاءُ[353]

جَـــاءَ قَـــوْمٌ مِـــنْ بَعْـــدِ قَـــوْمٍ بِحَـــقٍّ وَعَلَـــى الْمَـــنْهَجِ الْحَنِيفِـــيِّ جَـــاءُوا[354]

مَـــا لِمُوسَـــى وَلاَ لِعِيسَـــى حَـــوَارِ يُّـــونَ فِي فَضْـــلِهِمْ وَلاَ نُقَبَـــاءُ[355]

بِـــأَبِي بَكْـــرٍ الـــذِي صَـــحَّ لِلنَّـــا سِ بِـــهِ فِي حَيَاتِـــكَ الإِقْتِـــدَاءُ[356]

وَالْمُهَـــدِّي يَـــوْمَ السَّـــقِيفَةِ لَمَّـــا أُرْجِـــفَ النَّـــاسُ إِنَّـــهُ الـــدَّأْدَاءُ[357]

أَنْقَـــذَ الـــدِّينَ بَعْـــدَ مَـــا كَـــانَ لِلدِّيــــ ـــنِ عَلَـــى كُـــلِّ كُرْبَـــةٍ إِشْـــفَاءُ[358]

أَنْفَـــقَ الْمَـــالَ فِي رِضَـــاكَ وَلاَ مَــــ ـــنٌّ وَأَعْطَـــى جَمّـــاً وَلاَ إِكْـــدَاءُ[359]

وَأَبِي حَفْـــصٍ الـــذِي أَظْهَـــرَ اللَّــــ ـــهُ بِـــهِ الـــدِّينَ فَـــارْعَوَى الرُّقَبَـــاءُ[360]

(355-358) لما أقسم بالصحابة كلهم إجمالاً خصص العشرة المبشرين بالجنة وابتدأ بأفضل الخلق بعد الأنبياء: أبي بكر رضي الله عنه وهو عبد الله بن عثمان أبي قحافة ولقبه عتيق، وترجمته تستوعب مجلدات وإنما نقتطف منها زهرات شذية منها: أنه أفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين وقد صح اقتداء الناس به في حياته صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك الاقتداء به في الصلاة حين مرض صلى الله عليه وآله وسلم مرض الوفاة حتى أنه لما رآه الرسول الكريم يصلي تبسم يضحك، وفي هذا أفضل دليل على أفضليته العظمى ومكانه الرفيع.

ويكفيه من المواقف الخالدات في الإسلام موقفه يوم السقيفة إذ كان قوله الفصل المبين للحق في أمر الخلافة، وقد سكن اختلاف الناس في أمرها واضطرابها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان اضطرابهم الشديد في الخلافة كالليلة الدأداء الشديدة الظلمة.

أنقذ وخلص الدين من التّلاشي بعدما حصل له من إشرافه على كل كربة فقد ثبت الناس يوم موته صلى الله عليه وآله وسلم، ورجع الناس إلى ما رواه في محل دفنه الكريم، وكذلك فيما يتعلق بميراث الأنبياء، وموقفه يوم السقيفة كما تقدم وكذلك في حرب أهل الردة. انفق ماله كله في رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه نزل قوله تعالى:"وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكي" (الليل:الآية17-18) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس أحد من الناس أمنَّ عَلَيَّ بنفسه وماله من أبي بكر"الحديث"، وفضائله متنوعة كثيرة ولا منّ ولا انقطاع لعطائه رضي الله عنه، وتوفي رضي الله عنه سنة (13هـ).

(359-362) وثنى في إقسامه بعمر وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي أعز الله تعالى به الإسلام فإنه حين أسلم اظهر إسلامه لأنه لما أسلم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله ألسنا على حق؟ فقال: بلى، فقال: ففيم الإخفاء فخرج المسلمون في صَفين: عمر في أحدهما وحمزة في الأخر حتى دخل المسلمون المسجد فكربت قريش لذلك فقد كان إسلامه فتحاً، وهجرته

والـــذِي تَقْـــرُبُ الأَبَاعِـــدُ فِي اللـــ ـــــهِ إِلَيْـــهِ وَتَبْعُـــدُ الْقُرَبَـــاءُ(361)

عُمَـرَ بْـنِ الْخَطَّـابِ مَـنْ قَوْلُـهُ الْفَصْـ ـــلُ وَمَـــنْ حُكْمُـــهُ السَّـــوِيُّ السَّـــواءُ(362)

فَـــرَّ مِنْـــهُ الشَّـــيْطَانُ إِذْ كَـــانَ فَـــارُو قـــاً فَلِلنَّـــارِ مِـــنْ سَـــنَاهُ انْـــبِرَاءُ(363)

وَابْـــنِ عَفَّـــانَ ذِي الأَيَـــادِي الـــتِي طَـــا لَ إِلَى الْمُصْـــطَفَى بِهَـــا الإِسْـــدَاءُ(364)

حَفَـــرَ الْبِئْـــرَ جَهَّـــزَ الْجَـــيْشَ أَهْـــدَى الْهَـــدْيَ لَمَّـــا أَنْ صَـــدَّهُ الأَعْـــدَاءُ(365)

وَأَبَى أَنْ يَطُـــــوفَ بِالْبَيْـــــتِ إِذْ لَمْ يَـــــدْنُ مِنْـــــهُ إِلَى النَّـــــبِيِّ فِنَـــــاءُ(366)

نصراً وإمامته رحمة، فبإسلامه أنزجر الأعداء المترقبون بالإسلام. وصفه بأشهر أوصافه رضي الله عنه بأنه تقرب الأباعد إليه لأجل رضا الله تعالى وتبعد القُرباء لآجل ذلك. ثم سماه باسمه فهو عمر بن الخطاب الذي قوله الفصل وهو الحق وحكمه لا اعوجاج فيه فهو العدل السويّ فقد كان عمر أصلب الناس في دين الله. لما كان فاروقاً فرّ منه الشيطان وقد أطفأ نور النار التي هي أصل الشيطان، وفضائله وما ورد في شأنه كثير، ودامت خلافته عشرة أعوام وستة وخمسين يوماً. طعنه فيروز غلام المغيرة بن شعبة سنة (23هـ).

(363–367) وذكر أن الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين هو ذو النورين عثمان بن عفان الذي أسدى أيادي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي حفر بئر رومة وقد كانت ليهودي وهي الماء العذب الوحيد في المدينة، فحين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها بعشرين ألف درهم وأوقفها على المسلمين، وحفرها.

وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك فقد حمل على ألف بعير وسبعين فرساً وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستغفر له، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه اشترى الجنة مرتين بحفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة، وفي غزوة الحديبية نحر هديه بمكة دون غيره فإنهم نحروا هديهم بالحديبية لما صد الأعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دخول الحرم وكان ذلك سنة ست من الهجرة.

ولما امسكوا عثمان عندهم لما أرسله الرسول ليكلم أشراف قريش في أن يرجعوا عن منعه قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أن يطوف حين منعوا الرسول الكريم من دخول مكة والطواف.

وبسبب ما وقع من عثمان من امتثال أمر الرسول في الذهاب إلى العدو مع عدم مبالاته بما يقع له من العداء، وبسبب تأدبه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عدم الطواف إذ لم يطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم جُوزي حين بيعة الرضوان بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايع عنه فضرب بيده اليمنى على اليسرى ويا لها من بيعة بيده البيضاء أي: البالغة الكرم.

وتركه للطواف وإن كان تركاً للعبادة وهي الطواف فإنه تضاعف الأجر فيه دون الفعل للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبذا الأدباء.

وامتيازات عثمان كثيرة، منها: أنه رابع أربعة في الإسلام وزَوجّهُ النبي عليه الصلاة والسلام بابنتيه، وجمع المصحف على صورته التي أجمع عليها المسلمون. وقتل رحمه الله محصوراً بداره سنة (35 هـ).

فَجَزَتْــــهُ عَنْهَـــا بِبَيْعَـــةِ رِضْــــوَا نِ يَـــدٌ مِــــنْ نَبِيِّـــهِ بَيْضَـــاءُ[367]

أَدَبٌ عِنْــــدَهُ تَضَـــاعَفَتِ الأَعْـــ ـــمَالُ بِـــالتَّرْكِ حَبّـــذَا الأُدَبَـــاءُ[368]

وَعَلِـــيٍّ صِـــنْوِ النَّـــبِيِّ وَمَـــنْ دِيـــ ـــنُ فُـــؤَادِي وِدَادُهُ وَالْـــوَلاَءُ[369]

وَوَزِيـــرِ ابْـــنِ عَمِّـــهِ فِي الْمَعَـــالِي وَمِـــنَ الأَهْـــلِ تَسْـــعَدُ الْـــوُزَرَاءُ[370]

لَمْ يَـــزِدْهُ كَشْـــفُ الْغِطَـــاءِ يَقِينـــاً بَـلْ هُـوَ الشَّـمْسُ مَـا عَلَيْـهِ غِطَـاءُ[371]

وَبِبَـــاقِي أَصْـــحَابِكَ الْمُظْهِـــرِ التَّـــرْ تِيـــبَ فِينَـــا تَفْضِـــيلُهُمْ وَالْـــوَلاَءُ[372]

(368-370) وذكر ختام الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب، ومعنى البيت أُقسم عليك بعلي صنو النبي أي أخيه لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آخى بينه وبينه وقال له:"أنت أخي في الدنيا والآخرة" رواه الترمذي، والذي هو اعتقاد فؤادي حبه وموالاته ومناصرته، وذكر ذلك الناظم رداً على الخوارج الذين سَبُوهُ واستنقصوه.

وهو وزير ابن عمه أي وزيراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وثبتت له الوزارة استفادةً من أمور كثيرة تدل على ذلك منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ومؤاخاة النبي له، ومنامه في فراشه لما عزم المشركون قتله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا لا منافاة بين ما جاء هنا وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر لما قدمناه.

وقوله:(ومن الأهل تسعد الوزراء) تذييل أفاد به ما خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم به علياً مثل إرساله قاضياً في اليمن.

وأشار بقوله: (لم يزده كشف الغطاء يقينا) إلى قول علي كرم الله وجهه: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)، ثم قال: بل هو الشمس في فضله وعلمه وزهده وأحقية خلافته وهو الشمس لا غطاء عليه.

وقتله اللعين عبد الرحمن بن ملجم سنة (40 هـ).

(371- 379) وأقسم عليه بباقي العشرة المبشرين بالجنة على حسب مراتبهم التي بينها صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً وترتيباً.

ابتدأ بذكر طلحة رضي الله عنه وهو طلحة بن عبد الله القرشي التيمي وسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض، وطلحة الجود، وعطاياه كالسحاب المرسلة وتصدق في يوم بمائة ألف، ولم يجد ثوباً يذهب به إلى المسجد وأشار الناظم إلى موقفه بأُحد، فإنه بقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد حين فرّ الكثير ووقاه وقد وجبت له الجنة قتل سنة (36 هـ) يوم الجمل وهو أحد الستة من أصحاب الشورى.

وثنى بذكر الزبير رضي الله عنه، وهو الزبير بن العوام القرشي الأسدي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفية، وأحد الستة من أصحاب الشورى وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله وفتح مصر مع عمرو بن العاص، وقتل الزبير سنة (36 هـ).

وأشار الناظم إلى أنه والد القرم أي السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذي ولدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وقتله جيش الحجاج وهو محصور بمكة عند الكعبة سنة (73 هـ).

والصفيين تثنية صفي وهو الحبيب المصافي والتوءمان الولدان في بطن واحد، وقصد الناظم أن الفضل توأم بينهما وهما سعد وسعيد.

أما سعد فهو سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري أبو إسحاق أحد الثمانية السابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام وشهد المشاهد كلها، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وقد اعتزل الفتنة وتوفي بالعقيق سنة (55هـ)، ودفن بالبقيع وهو آخر المهاجرين موتاً.

وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عم عمر، وزوج أخته، والسبب في إسلامه، توفي سنة (50هـ)، ودفن بالبقيع، وهما إن عدت الأصفياء كانا من أكابرهم.

وأقسم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابن عوف رضي الله عنه، وهو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، والعشرة المشهود لهم بالجنة، شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، وكان كثير المال محظوظا في التجارة، وكان كثير الإنفاق، فقد تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشطر ماله، وكان أهل المدينة عيالاً عليه، ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم توفي سنة (32هـ)، في خلافة عثمان.

وأقسم بالمكنى أبا عبيدة، وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، ونزع بأسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولاه أبو أبكر على الشام وعمر وهو أمين هذه الأمة. توفي سنة (18هـ) شهيداً بالطاعون في طاعون عمواس، وأقسم عليه بعميه أي اخوي أبيه صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه وهما: حمزة والعباس ابنا عبد المطلب.

وعبر عنهما الناظم بأنهما: نيرا المجد، وكل منهما أتاه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إتاءٌ بوزن كتاب، أي أتاهما منه ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب.

واستشهد حمزة رضي الله عنه بأحد سنة (3هـ)، وهو أسد الله وكان شجاعاً لا يطاق وأسلم قبل عمر بثلاثة أيام، وتوفي العباس سنة (32هـ) بالمدينة وقبره مشهور بالبقيع، وصح حديث "العباس مني وأنا منه" وبارك في ذريته فقد ولوا الخلافة طوال مآت السنين وقد استسقى به عمر الغيث، وأقسم بأم السبطين وهما الحسن والحسين، وهي فاطمة رضي الله عنها وعنهما، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وآله وسلم وزوج علي كرم الله وجهه، زوجها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنها حين تزوجها عليّ (15سنة) وأشهراً، قال ابن عبد البر هي وأم كلثوم أفضل بناته، وكانت فاطمة أحب بناته إليه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنها سيدة نساء أهل الجنة، وتوفيت بعده في رمضان سنة إحدى عشرة.

وأقسم الناظم ببنيها وهم الحسن والحسين، ومحسن، وقد مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب وأولادهم، ولم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم عقب إلا منها من جهة السبطين. وقوله: "ومن حوته العباءُ" أي ما اشتمل عليه الكساء وهم عليٌ وفاطمةٌ وابناهما.

وأقسم عليه أخيراً بأزواجه رضي الله عنهن جميعاً اللواتي تشرفن ببناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهنّ وصانهن ذلك، وهن إحدى عشرة متفق عليهن،هن: ست قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة إسرائيلية.

أولهن: خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وتوفيت قبل الهجرة لثلاث سنين وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية ثم سودة بنت زمعة توفيت سنة (54 هـ) ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وتوفيت سنة (57 هـ) وكانت فقيهة حافظة فصيحة، وهي وخديجة أفضل أزواجه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت سنة (45هـ)، وأم سلمة هند بنت أبي أمية وماتت سنة (57هـ)، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب وماتت سنة (44هـ)، وزينب بنت جحش وهي أول من مات من أزواجه بعده سنة (20 هـ)، وزينب خزيمة الهلالية تزوجها سنة (3هـ) ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر، وميمونة بنت الحارث الهلالية وماتت سنة (51هـ)، وجويرية بنت الحارث وماتت سنة (50هـ)، وصفية بنت حيي وهي من سبي خيبر وماتت سنة (50هـ).

طَلْحَــــةِ الْخَــــيْرِ الْمُرْتَضِـــــيهِ رَفِيقـــاً وَاحِـــــداً يَـــــوْمَ فَـــــرَّتِ الرُّفَقَـــاءُ[373]

وَحَوَارِيِّــــــكَ الـــــزُّبَيْرِ أَبِي الْقَـــــرْ مِ الـــــذِي أَنْجَبَـــــتْ بِـــــهِ أَسْمَـــاءُ[374]

وَالصَّـــــفِيَّيْنِ تَـــوْأَمِ الْفَضْـــلِ سَـــعْدٍ وَسَـــعِيدٍ إِنْ عُـــدَّتِ الأَصْـــفِيَاءُ[375]

وَابْـــنِ عَــوْفٍ مَـــنْ هَوَّنَـــتْ نَفْسُـــهُ يَـــا بِبَـــذْلِ يُمِــــدُّهُ إِثْـــرَاءُ[376]

وَالْمُكَـــــنَّى أَبَـــا عُبَيْـــدَةَ إِذْ يَعْـــ زِي إِلَيْـــهِ الأَمَانَـــــةَ الأُمَنَـــــاءُ[377]

وَبِعَمَّيْـــكَ نَـــيِّرَيْ فَلَـــكِ الْمَجْـــ ـــدِ وَكُـــلٌّ أَتَـــاهُ مِنْـــكَ إِتَـــاءُ[378]

وَبِـــأُمِّ السِّـــــبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِـــــيٍّ وَبَنِيهَـــا وَمَـــنْ حَوَتْـــهُ الْعَبَـــاءُ[379]

وَبِأَزْوَاجِـــــكَ اللَّـــــوَاتِي تَشَرَّفْـــ ـــنَ بِـــأَنْ صَـــانَهُنَّ مِنْـــكَ بِنَـــاءُ[380]

طلب الأمان للحصول على النجاة

الأَمَــــانَ الأَمَــــانَ إِنَّ فُـــــؤَادِي مِـــنْ ذُنُـــوبٍ أَتَيْـــتُهُنَّ هَـــوَاءُ[381]

(380-420) هذا مبدأ جواب الإقسامات السابقة التي ابتدأها بقوله:

يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا مي عليه مدح له وثناء

إلى ما قبل البيت هذا:

وبأزواجك اللواتي تشرف ن بأن صانهن منك بناء

وقوله: الأمان الأمان بالنصب إما مفعول به، وإما مفعول مطلق أي أنِلنا الأمان أو أمّنا الأمان من العقاب، والمعنى: أقسم عليك بمن ذكرتُ في الأبيات السالفة أن تنيلني الأمان من ذنوب لأن قوله: (من ذنوب أتيتها هواء) أي فارغ تعليل.

وبعد طلب الأمان ذكر أنه تمسك بالوداد أي بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستمسكاً بالحبل الذي تمسك به الشفعاء من الأنبياء والأولياء والعلماء، والصالحين الذين لم تحصل لهم مرتبة الشفاعة إلا بواسطة محبتهم لك، فأنا متمسك بما تمسكوا به لتحصل لي شفاعتك، جرت عادة كرم الله تعالى أن من تعلق بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمسه السوء فلذلك قال الناظم: (وأبى الله أن يمسني السوء) البيت، إن معشر المحبين وخدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعونه ويأملون فيه للأمور العظيمة التي أضعفها في= = القلوب رمضاء: أي نار تتقد فأنت الرجاء في الشفاعة.

ثم قال الناظم: (وأتينا إليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهازيل فقراء من الأعمال الصالحة وقد حملتنا إلى حضرتك التي فيها

الغِنَى ركائب أجهدها طول السير اغتناماً للوقوف بساحات الكرم أي: بقلوبنا أو إلى قبرك المكرم، واستترت في الصدور حاجات نفس أملت حصولها من جنابك وليس لها عن ندى يديك استغناء.

طلب الناظم منه صلى الله عليه وآله وسلم إسعافه بمراده قائلاً: (يا من هو المغيث للمكروبين) والغيث والمطر للقاحطين إذا ضَيَّقَ على الخلق الجدب.

وهو الجواد الذي تفرج به الغمة عن الأمة الإسلامية والشدة هذا البيت وهو: (يا رحيما...الخ) يتضمن غاية الاستعطاف طلباً للشفاعة في اليوم الذي تكون له صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة العظمى وناداه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: " يا شفيعاً في المذنبين في الوقت الشديد الذي فيه البرءاءُ، يشفقون من مناقشة الحساب لأن الخوف يعم حتى من لا ذنب له".

وسأل الناظم الجود للعاصي بالشفاعة من كامل الرحمة منه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وضح أنه العاصي، وإنما تنكر ولم يصرح باسمه استحياء.

تداركه أي العاصي بحق حرمتك مادام له تعلق بذلك الجناب العظيم وأخبر عن العاصي المكنى به بأنه أخرته الأعمال السيئة المرتكبة منه والمال الذي لم ينفقه في وجوه الخير عما قدمه الصالحون من الأعمال الصالحات والأغنياء من الإنفاق في وجوه الخيرات.

وبأنه في كل يوم وليلى معاصيه مرتفعات مع ملائكة الليل والنهار وأنفاسه صعداء أي متواترة ممتدة من أجل ذنوبه وبأنه ولع بالبطنة وهي ملء بطنه من الطعام والشراب وذلك من الأسباب المبطئة للسير المعنوي والقلبي لأن البطن إذا امتلأ كسلت وفسد العقل في هذه الدار دار الدنيا التي فيها البطان – جمع بطين– بطاء أي غير سريعين متأخرين عن الفائزين.

وبأنه بكى ذنبه مع يبس قلبه وصلابته فانقلب البكاء بسبب تلك القساوة القلبية مكاء أي كالصفير وبأن ذلك العاصي صار يعتب القضاء ويلومه ولا عذر لعاص يحتج بالقضاء لسقوط الإثم عليه وعدم مؤاخذته لأن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة الإلهية على الأسباب والمسببات، وإن كان كل شيء بقضاء الله تعالى فلا بد من رعاية المقامين.

وقال الإمام الغزالي: إن من جملة القضاء الدعاء لرد البلاء.

وهذا العاصي أوثقته ديون بسبب ذنوب متراكمة عليه فحبسته في الدنيا كما أن ديون الآخرة بسبب التفريط في حقوق الله أثقلته وأوثقته.

فما له حيلة بسبب وضعه من كثرة ذنوبه وديونه في التخلص إلا مثل حيلة الموثق أي الأسير، إما التوسل إلى الله تعالى أو الدعاء إليه.

وحال العاصي أنه راجٍ لله تعالى مؤمل منه أن تصير أعمال السوء أي السيئة بسبب غفران الله تعالى هباء كالغبار وهو راجٍ كذلك أن تصير سيئاته حسنات، وبذلك يقال استحالت أي الخمر النجسة المحرمة خَلاً وهذا من باب الاستعارة أي ما كان من الأعمال سيئاً أصبح حسنات، يا حبيب الله كل ما تهتم به يتحول من صفة إلى أخرى يتعجب منها ذوو البصائر والبصر، مثل العرجون الذي أعطاه لعكاشة يوم بدر فأصبح سيفاً.

ثم شبه إنقاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب دعائه وصرف العناية إليه بالماء الملح المنقلب عذباً فراتاً.

وتوجع الناظم من حاله التي جرت له الذنوب قائلاً: (آه) إن كانت تغني هذه الكلمة في التوبة.

وأنا آملُ بحسن ظني توبة نصوحاً والحال أن في القلب نفاقاً وفي اللسان رياءً ومع ذلك لا أترك التوبة رجاء قبولها.

وكذلك حالي تجعلني أتعجب من أني أتوب لأن جسمي في اعوجاج وانحناء من كبر سني لأن المرء على ما جُبِلَ عليه فذكر أنه إنما أخر التوبة من أجل أنه كما قال: كنت في نومة الشباب وما استيقظت إلا في الحال التي كانت فيها لحيتي شمطاء وكذلك شعر رأسي أي اختلط سواد الشعر ببياضه.

وحين استيقظت من غرور الشباب طلبت أن أتبع أثر القوم الصالحين فطالت المسافة بيني وبينهم.

وحين صرت خلفهم أصبحت المسافة التي بيني وبينهم عسرة السلوك وأرضاً واسعة.

وبسبب اختلاف الحالين بيني وبين الصالحين حمد الصالحون إدلاجهم أي سيرهم ليلاً كنّى بذلك عن سبقهم في الطاعات ويكفي المتخلف

قَـــدْ تَمَسَّـــكْتُ مِـــنْ وِدَادِكَ بِالْحَبْـــ ـــلِ الـــذِي اسْتَمْسَـــكَتْ بِـــهِ الشُّـــفَعَاءُ[382]

وَأَبَى اللهُ أَنْ يَمَسَّـــــــــنِيَ السُّـــــــــو ءُ بِحَـــــالٍ وَلِي إِلَيْـــــكَ الْتِجَـــــاءُ[383]

قَـــدْ رَجَوْنَـــاكَ لِلأُمُـــورِ الـــتِي أَبْـــ رَدُهَـــــا فِي فُؤَادِنَـــــا رَمْضَـــــاءُ[384]

وَأَتَيْنَـــــا إِلَيْـــــكَ أَنْضَـــــاءَ فَقْـــــرٍ حَمَلَتْنَـــــا إِلَى الْغِنَـــــا أَنْضَـــــاءُ[385]

وَانْطَـــــوَتْ فِي الصُّـــــدُورِ حَاجَـــــاتُ مَـــا لَهَـــا عَـــنْ نَـــدَى يَـــدَيْكَ انْطِـــوَاءُ[386]

فَأَغِثْنَـــا يَـــا مَـــنْ هُـــوَ الْغَـــوْثُ وَالْغَيْـــ ـــثُ إِذَا أَجْهَـــدَ الْـــوَرَى الـــلأْوَاءُ[387]

وَالجْـــوَادُ الـــذِي بِـــهِ تُفْـــرَجُ الْغُـــ مَّـــةُ عَنَّـــا وَتُكْشَـــفُ الحَوْبَـــاءُ[388]

يَـــا رَحِيمـــاً بِـــالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَـــا ذَهِلَـــتْ عَـــنْ أَبْنَائِهَـــا الرُّحَمَـــاءُ[389]

عنهم التأخر المفوت لإدراك منازلهم.

وإن رحلة المتأخر عن الصالحين من شهواته إلى اللحاق بهم يضعفه عنها الصيف والشتاء فإذا كان الصيف ينوي تأخيرها إلى الشتاء وكذلك العكس.

ثم يقول: ومما أوجب إبطائي عن رحلة اللحاق بالصالحين أن وجهي يتقي حر الصيف وبرد الشتاء، والحال أنه قد صعب عليّ اتقاء حرّ جهنم لأني متلبس بما يؤدي إلى جهنم إلا أن يتغمدني الله برحمته.

ولأجل حالي ضقت ذرعاً مما جنيت فحياتي مكدرة إذ يومي شديد وليلتي درعاء مظلمة.

ولكن خفف أمر هذه الضائقة تذكر رحمة الله بسبب ذلك فالفرح أمام وجهي أين توجهت.

وبسبب تذكري رحمة الله مع ما جنيت أقام الرجاء في رحمة الله والخوف من عقاب الله تعالى منازعة في القلب لتضادهما.

وجرد من نفسه صاحباً له والمراد يا نفسي لا تيأسِ من رحمة الله وإن ضعفت عن الطاعة وانفردت بها الأقوياء.

وعلل رجاء نفسه في الرحمة بأن لله الغفور الرحيم رحمة وأحق الناس بها الضعفاء.

وأبرز رحمة الله بالضعفاء بصورة لطيفة وهي أن العرجاء من الغنم حين يكون الرجوع تسبق وكذلك الضعفاء بسبب رحمة الله.

ومن تعلق برحمة الله لا يحسد غيره فيقول هذا الطائع أثمرت نخله ونخلي لا ثمرة لها.

وليبعد نفسه عن الغرور الذي يكون عند من يرجو ولا يعمل عملاً صالحاً خاطب نفسه بالإتيان بالمستطاع من الطاعة لأنه لا ينظر إلى نفسه قوية والفوز بسبب ذلك وذلك مما يضعف ثواب الطائع أو يُحبط عمله إذا كان قوياً.

وخاطب نفسه بأن تطلب رضا الله تعالى والعطاء منه بسبب حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

يَـــا شَـــفِيعاً فِي الْمُـــذْنِبِينَ إِذَا أَشْـــ   فَـــقَ مِـــنْ خَـــوفِ ذَنْبِـــهِ الْبُـــرَآءُ[390]

جُـــدْ لِعَـــاصٍ وَمَـــا سِـــوَايَ هُـــوَ الْعَـــا   صِـــي وَلَكِـــنْ تَنْكِـــيرِيَ اسْـــتِحْيَاءُ[391]

وَتَدَارَكْـــــهُ بِالْعِنَايَـــــةِ مَـــــا دَا   مَ لَـــهُ بِالـــذِّمَامِ مِنْـــكَ ذِمَـــاءُ[392]

أَخَّرَتْـــهُ الأَعْمَـــالُ وَالْمَـــالُ عَمَّـــا   قَـــدَّمَ الصَّـــالِحُونَ وَالأَغْنِيَـــاءُ[393]

كُـــلَّ يَـــوْمٍ ذُنُوبُـــهُ صَـــاعِدَاتٌ   وَعَلَيْهَـــا أَنْفَاسُـــهُ صُـــعَدَاءُ[394]

أَلِـــفَ الْبِطْنَـــةَ الْمُبَطِّئَـــةَ السَّيْـــ   ـــرِ بِـــدَارٍ بِهَـــا الْبِطَـــانُ بِطَـــاءُ[395]

فَبَكَـــى ذَنْبَـــهُ بِقَسْـــوَةِ قَلْـــبٍ   نَهَـــتِ الـــدَّمْعَ فَالْبُكَـــاءُ مُكَـــاءُ[396]

وَغَـــدَا يَعْتِـــبُ الْقَضَـــاءَ وَلاَ عُـــذْ   رَ لُعَـــاصٍ فِيمَـــا يَسُـــوقُ الْقَضَـــاءُ[397]

أَوْثَقَتْـــهُ مِـــنَ الـــذُّنُوبِ دُيُـــونٌ   شَـــدَّدَتْ فِي اقْتِضَـــائِهَا الْغُرَمَـــاءُ[398]

مَـــا لَـــهُ حِيلَـــةٌ سِـــوَى حِيلَـــةِ الْمُـــو   ثَـــقِ إِمَّـــا تَوَسُّـــلٌ أَوْ دُعَـــاءُ[399]

رَاجِيـــاً أَنْ تَعُـــودَ أَعْمَالُـــهُ السُّـــو   ءُ بِغُفْـــرَانِ اللهِ وَهْـــيَ هَبَـــاءُ[400]

أَوْ تُـــرَى سَـــيِّئَاتُهُ حَسَـــنَاتٍ   فَيُقَـــالُ اسْـــتَحَالَتِ الصَّـــهْبَاءُ[401]

كُـــلُّ أَمْـــرٍ تُعْـــنَى بِـــهِ تُقْلَـــبُ الأَعْـــ   يَـــانُ فِيـــهِ وَتَعْجَـــبُ الْبُصَـــرَاءُ[402]

رُبَّ عَـــيْنٍ تَفَلْـــتَ فِي مَاءِهَـــا الْمِلْـــ   ـــحِ فَأَضْـــحَى وَهْـــوَ الْفُـــرَاتُ الـــرَّوَاءُ[403]

آهِ مِمَّـــا جَنَيْـــتُ إِنْ كَـــانَ يُغْـــنِي   أَلِـــفٌ مِـــنْ عَظِـــيمِ ذَنْـــبٍ وَهَـــاءُ[404]

أَرْتَجِـــي التَّوْبَـــةَ النَّصُـــوحَ وَفِي الْقَلْـــ ـــــبِ نِفَـــاقٌ وَفِي اللِّسَـــانِ رِيَـــاءُ[405]

وَمَـــتَى يَسْـــتَقِيمُ قَلْـــبِي وَلِلْجِسْـــ ـــمِ اعْوِجَـاجٌ مِـــنْ كِبْـــرَتِي وَانْحِنَـــاءُ[406]

كُنْــتُ فِي نَوْمَـــةِ الشَّــبَابِ فَمَـــا اسْتَيْـ قَظْـــتُ إِلاَّ وَلِمَّـــتِي شَمْطَـــاءُ[407]

وَتَمَادَيْـــتُ أَقْتَفِـــي أَثَـــرَ الْقَـــوْ مِ فَطَالَـــتْ مَسَـــافَةٌ وَاقْتِفَـــاءُ[408]

فَـــوَرَا السَّـــائِرِينَ وَهْـــوَ أَمَـــامِي سُـــبُلٌ وَعْـــرَةٌ وَأَرْضٌ عَـــرَاءُ[409]

حَمِـــدَ الْمُـــدْلِجُونَ غِـــبَّ سُـــرَاهُمْ وَكَفَـــى مَـــنْ تَخَلَّـــفَ الإِبْطَـــاءُ[410]

رِحْلَـــةٌ لَمْ يَـــزَلْ يُفَنِّـــدُنِي الصَّيْـــ ـــفُ إِذَا مَـــا نَوَيْتُهَـــا وَالشِّـــتَاءُ[411]

يَتَّقِـــي حُـــرُّ وَجْهِـــيَ الْحَـــرَّ والْبَـــرْ دَ وَقَـــدْ عَـــزَّ مِـــنْ لَظَـــى الإِتِّقَـــاءُ[412]

ضِـــقْتُ ذَرْعـــاً مِمَّـــا جَنَيْـــتُ فَيَـــوْمِي قَمْطَرِيـــرٌ وَلَيْلَـــتِي دَرْعَـــاءُ[413]

وَتَـــذَكَّرْتُ رَحْمَـــةَ اللهِ فَالْبِشْـــ ـــرُ لِـــوَجْهِي أَنَّى انْتَحَـــى تِلْقَـــاءُ[414]

فَـــأَلَحَّ الرَّجَـــاءُ وَالْخَـــوْفُ بِالْقَلْـــ بِ وَلِلْخَـــوْفِ وَالرَّجَـــا إِخْفَـــاءُ[415]

صَـــاحِ لاَ تَـــأْسَ إِنْ ضَـــعُفْتَ عَـــنِ عَـــةِ وَاسْـــتَأْثَرَتْ بِهَـــا الأَقْوِيَـــاءُ[416]

إِنَّ لِلّهِ رَحْمَـــةً وَأَحَـــقُّ النَّـــاسِ مِنْـــهُ بِالرَّحْمَـــةِ الضُّـــعَفَاءُ[417]

فَـــابْقَ فِي الْعُـــرْجِ عِنْـــدَ مُنْقَلَـــبِ الـــذَّوْ د فَفِـــي الْعَـــوْدِ تَسْـــبِقُ الْعَرْجَـــاءُ[418]

لاَ تَقُـــلْ حَاسِـــداً لِغَـــيْرِكَ هَـــذَا أَثْمَـــرَتْ نَخْلُـــهُ وَنَخْلِـــي عَفَـــاءُ[419]

وَأْتِ بِالْمُسْـــتَطَاعِ مِـــنْ عَمَـــلِ الْبِـــ ـــرِّ فَقَـــدْ يُسْـــقِطُ الثِّمَـــارَ الأَِتَـــاءُ[420]

وَبِحُبِّ النَّبِيِّ فَابْغِ رِضَا اللَّـ ـهِ فَفِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحِبَاءُ[421]

الضراعة وإظهار التحسر

يَا نَبِيَّ الْهُدَى اِسْتِغَاثَةَ مَلْهُو فٍ أَضَرَّتْ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءُ[422]

يَدَّعِي الْحُبَّ وَهْوَ يَأْمُرُ بِالسُّو ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءُ[423]

أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرْفِي لِلْكَرَى وَاصِلٌ وَطَيْفُكَ رَاءُ[424]

لَيْتَ شِعْرِي أَذَاكَ مِنْ عُظْمِ ذَنْبٍ أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيَّمِينَ حُظَاءُ[425]

إِنْ يَكُنْ عُظْمُ زَلَّتِي حُجْبَ رُؤْيَا كَ فَقَدْ عَزَّ دَاءَ قَلْبِي الدَّوَاءُ[426]

كَيْفَ يَصْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبُ مُحِبٍّ وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جِلاَءُ[427]

هَذِهِ عِلَّتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ[428]

(421–427) ثم تضرع إلى الله مستغيثاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطر أشد الاضطرار بسبب ضعف همته.

ذكر الناظم أنه يدعي الحب لله ولرسوله والحال أنه يأمر بالإثم وتمنى أن يصدق في دعواه محبتهما مستفهما بقوله: من يتكفل لي أن تصدق عزيمتي.

ثم إن إدعاء الحب مع الغفلة عن طاعة المحبوب لا يصح لأن طرفي واصل للكرى – أي النوم– وطيفك أي خيالك راء أي محتجب وفي هذا البيت تورية وهي الإشارة إلى احتجاب الراء عن واصل بن عطاء لأنه كان ألثغ اللسان.

أي ليتني علمت أذاك أي عدم حضور خيال صورته بقلبي من أجل عظم ذنبي، أم حظوظ المتّيمين –أي المحبين– متفاوته؟ إن يكن الذي حجب رؤياك في المنام عظيم ذنبي فقد قل بل عدم الدواء الذي يكون به الشفاء.

بعد ذكره التردد في وجود المحبة لمزيد الخوف ذكر أن رجاءه بسبب تعلقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى أن يصدأ بسبب الذنب قلب المحب والحال أن ذكره – أي ذلك المحبوب– جلاءٌ لقلبه.

أبدى أنه ظفر بسبب حجب الرؤية وهي عظيم الذنب فنادى بأن علته هذه وهي حجب الرؤية والحال أن طبيبه أكرم الخلق وهو لا تخفى عليه العلة فرغب منه أن يعجل له بالشفاء.

باعث مدحه

وَمِـــنَ الْفَـــوْزِ أَنْ أَبُثَّـــكَ شَـــكْوَى هِـيَ شَـكْوَى إِلَيْـكَ وَهْـيَ اقْتِضَـاءُ[429]

ضُـــــمِّنَتْهَا مَـــــدَائِحٌ مُسْــــتَطَابٌ فِيـــكَ مِنْهَـــا الْمَـــدِيحُ وَالإِصْـــغَاءُ[430]

قَلَّمَـــــا حَاوَلَـــــتْ مَـــــدِيحَكَ إِلاَّ سَـــــاعَدَتْهَا مِـــــيمٌ وَدَالٌ وَحَـــــاءُ[431]

حَـــقَّ لِي فِيـــكَ أَنْ أُسَـــاجِلَ قَوْمـــاً سَـــلَّمَتْ مِـــنْهُمُ لِـــدَلْوِي الـــدِّلاَءُ[432]

(428-443) ولما أن كان طبيبه خير الخليقة صلى الله عليه وآله وسلم ورفع إليه قصته قال: إن من الفوز والنجاة أن أبثك الشكوى وهي شكوى إليك وطلب من كرمك أن أنجو ويحصل لي الشفاء وهي إدخال على الباعث لمدحه.

وهذه الشكوى المتضمنة الاقتضاء أي الطلب ضُمنت مدائح مستطاب مديحها والإصغاء من سامعها لأن الأوصاف النبوية الكريمة زيّنتها.

وقلّ أن يستصعب عليّ مديحك إذا أردته فكلما توجهت بشكواي إلا تهيأت لي الأسباب.

وإذا ساعده المدح له صلى الله عليه وآله وسلم حُقَ له أي ثبت له في مدحه أن يساجل أي يفاخر الشعراء المادحين له عليه الصلاة والسلام، وحين يفاخرهم قال: تسلم دلاؤهم لدلوي أي أفوز عليهم.

لفرط محبة الناظم ذكر أن له حمية أي غيرة تدعوه لأن يحب أن لا يسبقه أحد غيره في صوغ المديح النبوي.

ثم أضاف علةً أخرى علاوةً على مساعدة المدح النبوي له وهي استحكام محبة قلبه له صلى الله عليه وآله وسلم وهذه المحبة لولاها لما تميز على المادحين غيره وهي التي يلذ لها مدحك لعلمها أن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم هو الفرح التام بسبب صدق محبتي فيك يا رسول الله صلى الله عليك وآلك وسلم أثِب خاطري أي قريحتي الشعرية التي يلذ لها مدحك لعلمها بأنه اللألاء أي الفرح التام أو المضيء المشرق.

ثم شبه شعره بالبرد –أي الثياب الرفيعة– فقال: حاكت قريحتي أي نسجت من الشعر برود الم تصنعها صنعاء وهي بلدة باليمن مشهورة بجودة النسج.

ومدح قصيدته الهمزية هذه ذاكراً أن نظمها فاق الدر النفيس فاستوى في العجز عن الإتيان بمثلها القريحتان الماهرة والغبية ثم قال: إقبل هذا النظم يا أفصح من نطق بالضاد، أي يا أفصح العرب، وهم من فصاحتهم نطقوا بالضاد دون غيرهم من الأمم.

استفهم بقوله: أأوفيك مدحاً بذكر الآيات؟ وهي الخصائص والمعجزات والاستفهام إنكاري، أي لا قدرة لمخلوق على أن يوفيك مدحك لا أقصد بمدحي أن أجادل قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المادحين له، وساء ظن الأغبياء الذين يظنون ذلك بي وكيف يتصور مني أن أماري المادحين وأماري أمتك الوسطى الفضلى التي غبطتها أي تمنت الأنبياء أن يكونوا مثلها.

ومما انفردت به الأمة الإسلامية الصادقة أنها لا تخشى الضلال لأنه صلى الله عليه وآله وسلم تركها على المحجة البيضاء والحال أنها فيها العلماء الذين هم أهل السنة والجماعة فالناس مع وجودهم آمنون.

وبسبب أن في هذه الأمة وارثي هديك إنقضت آي الأنبياء وآياتك أي معجزاتك باقية فهي معجزات قبل وجودك ومعك وبعد وفاتك فمعجزاته متواصلة.

والكرامات الواقعة من خواص هذه الأمة كالمعجزات حازها هؤلاء من عطائك والخواص هم: الأولياء نفعنا الله بهم جميعاً.

إنَّ لِي غَيْـــرَةً وَقَــــدْ زَاحَمَتْـــــنِي فِي مَعَـــانِي مَـــدِيحِكَ الشُّـــعَرَاءُ(433)

وَلِقَلْـــــبِي فِيـــكَ الْغُلُـــوُّ وَأَنَّى لِلِسَـــانِي فِي مَـــدْحِكَ الْغُلَـــوَاءُ(434)

فَأَثِـــبْ خَـــاطِراً يَلَـــذُّ لَـــهُ مَـــدْ حُـــكَ عِلْمـــاً بِأَنَّـــهُ الـــلَّأْلاَءُ(435)

حَـــاكَ مِـــنْ صَـــنْعَةِ الْقَـــرِيضِ بُـــرُوداً لَـــكَ لَمْ تَحْـــكِ وَشْـــيَهَا صَـــنْعَاءُ(436)

أَعْجَـــزَ الـــدُّرَّ نَظْمُـــهُ فَاسْـــتَوَتْ فِيـــ ـــهِ الْيَـــدَانِ الصَّـــنَّاعُ وَالْخَرْقَـــاءُ(437)

فَارْضَـــهُ أَفْصَـــحَ امْـــرِئٍ نَطَـــقَ الضَّـــا دَ فَقَامَـــتْ تَغَـــارُ مِنْهَـــا الظَّـــاءُ(438)

أَبِـــذِكْرِ الآيَـــاتِ أُوفِيـــكَ مَـــدْحاً أَيْـــنَ مِـــنِّي وَأَيْـــنَ مِنْهَـــا الْوَفَـــاءُ(439)

أَمْ أُمَـــارِي بِهِـــنَّ قَـــوْمَ نَـــبِيٍّ سَـــاءَ مَـــا ظَنَّـــهُ بِيَ الأَغْبِيَـــاءُ(440)

وَلَـــكَ الأُمَّـــةُ الـــتِي غَبَطَتْهَـــا بِـــكَ لَمَّـــا أَتَيْتَهَـــا الأَنْبِيَـــاءُ(441)

لَمْ نَخَـــفْ بَعْـــدَكَ الضَّـــلاَلَ وَفِينَـــا وَارِثُـــو نُـــورِ هَـــدْيِكَ الْعُلَمَـــاءُ(442)

فَانْقَضَـــتْ آيُ الأَنْبِيَـــاءِ وَآيَـــا تُـــكَ فِي النَّـــاسِ مَـــا لَهُـــنَّ انْقِضَـــاءُ(443)

وَالْكَرَامَـــاتُ مِـــنْهُمُ مُعْجِـــزَاتٌ حَازَهَـــا مِـــنْ نَوَالِـــكَ الأَوْلِيَـــاءِ(443)

العجز عن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم

إنَّ مِـــنْ مُعْجِزَاتِـــكَ الْعَجْـــزَ عَـــنْ وَصْـــ ـــفِكَ إِذْ لاَ يَحُـــدُّهُ الإِحْصَـــاءُ(444)

كَيْـــفَ يَسْـــتَوْعِبُ الْكَـــلاَمُ سَـــجَايَا كَ وَهَـــلْ تَنْـــزِحُ الْبِحَـــارَ الرَّكَـــاءُ(445)

(444-449) من المعجزات النبوية العجز عن الإحاطة بكل فرد من أوصافك التي اختصك الله بها لأنها لا تحد ولا تحصى.
كيف يمكن للواصف أن يستوعب ما فيك من الأخلاق الكريمة والفضائل والأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف بالبحار وشبه ألفاظ المادحين بالركاء وما تغرفه الركاء من البحار لا يذكر.

لَـــيْسَ مِـــنْ غَايَـــةٍ لِوَصْـــفِكَ أَبْغِيــ ـــــهَا وَلِلْقَـــوْلِ غَايَـــةٌ وَانْتِهَـــاءُ[446]

إِنَّمَـــا فَضْـــلُكَ الزَّمَـــانُ وَآيَـــا تُـــكَ فِيمَـــا نَعُـــدُّهُ الآنَـــاءُ[447]

لَمْ أُطِـلْ فِي تَعْـدَادِ مَـدْحِكَ نُطْقِـي وَمُـــرَادِي بِـــذَلِكَ اسْتِقْصَـــاءُ[448]

غَيْـــرَ أَنِّي ظَـــمْآنُ وَجْـــدٍ وَمَـــا لِي بِقَلِيـــلٍ مِـــنَ الْـــوُرُودِ ارْتِـــوَاءُ[449]

التسليم على خير البرية

فَسَـــلامٌ عَلَيْـــكَ تَتْـــرَى مِـــنَ اللّـــ ـــهِ وَتَبْقَـــى بِـــهِ لَـــكَ الْبَـــأْوَاءُ[450]

وَسَـــلامٌ عَلَيْـــكَ مِنْـــكَ فَمَـــا غَيْـــ ـــرُكَ مِنْـــهُ لَـــكَ السّـــلامُ كَفَـــاءُ[451]

وَسَـــلامٌ مِـــنْ كُـــلِّ مَـــا خَلَـــقَ اللَّـــ ـــهُ لِتَحْيَـــا بِـــذِكْرِكَ الأَمْـــلاَءُ[452]

وضح الناظم المعنى المتقدم بزيادة في الإيضاح فأفاد أن أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم ليس لها غاية تنتهي إليها حتى يبغيها مادح خلاف القول فله غاية وانتهاء.

وزاد ذلك بياناً بأن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشبه الزمان وأجزاء الزمان لا انتهاء لها فكذلك جزئيات فضائله لا انتهاء لها فلا يظن الظان أن الإطالة في هذه القصيدة الهمزية مرادي من ذلك استقصاء أوصافه لأنها كما تقدم لا غاية لها.

وإنما أطلت لا لقصد الحصر كما تقدم وإنما أنا ظمآن لإسماع تلك الأوصاف الكريمة وليس لي ارتواء بالقليل.

(450-456) ثم شرع حين ختم هذه القصيدة المباركة في الصلاة والسلام فقال: سلامٌ عظيمٌ عليك من الله يتكرر ويتبع بعضه بعضاً ويبقى لك به البأواء أي: الفخر، وثنى بسلامة صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه، وهذا السلام هو المكافئ لحضرتك أما سلامٌ من دونك عليك فلا يكافئك ولا يساويك.

ثم قال: عليك من جميع المخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى، وأتى بهذا العموم لتحيا الأملاء - بفتح الهمزة- جمع ملأ، وهو الجماعة.

وأتى بعد السلام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والصلاة من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم وهذه الصلاة من الله ومنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جميع المخلوقات وهي كالمسك في شذاها تحمله من الناظم الريح الشمالية إلى الرسول الكريم، والريح النكباء وهي ريح الصبا.

ثم سلم على قبره المكرم الذي ضم أعضاءه الشريفة بسلامٍ تخضل أي: تبتل به من القبر المكرم تربة وعساء أي: لينة.

ثم ذكر أن ثناءه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصيدة بين يدي نجواه أي سؤاله بلوغ مقصوده من كل مأموله قائم مقام الصدقة لأجل النجوى لأنه لا ثراء له.

وختم بقوله: أدام الله الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم أبداً ما صلى لله سبحانه من عبد ودامت الأشياء أي الموجودات الدينوية والأخروية وهي لا انتهاء لها.

وَصَـــــلاَةٌ كَالْمِسْــــكِ تَحْمِلُــــهُ مِـــــ   ـــــنِّي شَمَــــالٌ إِلَيْـــكَ أَوْ نَكْبَـــاءُ[453]

وَسَــــلاَمٌ عَلَــــى ضَــــرِيحِكَ تَخْضَـــــ   ـــــلُّ بِـــهِ مِنْـــهُ تُرْبَـــةٌ وَعْسَـــاءُ[454]

وَثَنَـــاءٌ قَـــدَّمْتُ بَـــيْنَ يَـــدَيْ نَجْـــ   وَايَ إِذْ لَمْ يَكُـــنْ لَـــدَيَّ ثَـــرَاءٌ[455]

مَـــا أَقَـــامَ الصَّـــلاَةَ مَـــنْ عَبَـــدَ اللَّـــ   ـــهَ وَقَامَـــتْ بِرَبِّهَـــا الأَشْـــيَاءُ[456]